سورة القلم

دراسة بلاغية

د/ منى محمد على عيد

الاستاذ المساعد بكلية الدراسة الإسلامية والعربية

بنات سوهاج

٢٠١٨

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من كان مبعثه رحمه، ورسالته هدى، وعلى آله وأصحابه الكرام الميامين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد ...

فإن القرآن الكريم -كما أخبرنا الصادق المصدوق- ﷺ-:"هو حبل الله المتين، والنور المبين، والصراط المستقيم، والحجة الباقية إلى يوم الدين، من تمسك به فاز في الدارين، ومن أعرض عنه تبوأ شر المنزلين، وهو الذي لا يشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه أجر، ومن عمل به هدي إلى صراط مستقيم" [(١)]، وقد تكفل سبحانه بحفظه؛ حيث قال:"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[(٢)] وجعله المعجزة الخالدة إلى يوم الدين بقوله :"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" [(٣)]

وقد وجه علماء الأمة -سلفا وخلفا- همهم إليه، وصرفوا وجوههم نحوه، يقتبسون من علمه، وينهلون من معينه، ويغوصون في أسراره، ويستخرجون منه الدرر الكامنة، واللآلئ البديعة، وإن البحث والغوص وراء أسرار كتاب الله –

(١) الحديث رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل القرآن ١٧٢/٥ ت. الشيخ أحمد محمد شاكر ط. الحلبي. مصر . ط. الثانية ١٩٧٥

(٢) سورة الحجر الأية رقم ٩

(٣) سورة الإسراء الآية رقم ٨٨

الكريم- هو أجل وأشرف القربات التي يقدمها المرء بين يدي ربه عز وعلا يوم الدين، كما أن وسيلة هذا الكشف، وأداته التي بها يبلغ مراده- هي علم البلاغة، الذي يعنى بدراسة الأساليب دراسة متعمقة بغية الوصول إلى سر بيانها، وكنه جمالها، وعظمة تأليفها.

وانطلاقا من هذه الغاية الأسمى، والشرف الأسنى، وليت وجهي شطر سورة من سور القرآن العظيم، هي سورة القلم؛ لما تحويه من نكات بلاغية وسمات أسلوبية معجزة تفوق كل بيان وتعلو كل نظم من الكلام، كما تحوي السورة الكريمة جملا من اللطائف التربوية الحكيمة تعد نموذجا أعلى في القيم واحترام حقوق الإنسان، واحترام العلم وأدواته ولا سيما القلم الذي باسمه سميت السورة، كما فيه الحث على قيمة الصبر والتأني في الأمور إلى غير ذلك من السمات والخصائص الأسلوبية والفنية والقيمية مما سيجده القارئ مبثوثا في تضاعيف التحليل البلاغي- بحوله تعالى وقوته-.

وقد جاء بحثي بعنوان: "سورة القلم دراسة بلاغية"

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في: مقدمة، وتمهيد، تناولت فيه: اسم السورة، وترتيبها في التنزيل، ورقمها، ومناسبتها لما قبلها في الترتيب النزولي والمصحفي، وعدد آياتها، والمكي منها والمدني، وما تحويه السورة الكريمة من موضوعات.

ثم تناولت -بعد التمهيد- آيات السورة بالتفسير والتحليل البلاغي، فذكرت المعنى العام الذي تدور حوله السورة الكريمة وهو "**إثبات نبوّة محمد -عليه الصلاة والسلام- وأخلاقه الكريمة**"، والذي جاء باديا في مطلع السورة، شأنه شأن كل مطالع القرآن، وعلاقتها بالمقاصد المبثوثة في تضاعيف السورة،

وقد ذكرت كل آية أو مجموعة آيات على حدة. فجاء البحث -حسب موضوعات السورة ومحاورها - في خمسة مباحث، على النحو الآتي:

المبحث الأول: الأسرار البلاغية في الحديث عن **إثبات نبوّة محمد ﷺ وأخلاقه الكريمة**. (من الآية ١ إلى ٤)

المبحث الثاني: الأسرار البلاغية في الحديث عن الرّسالة المحمدية والشُّبَه التي أثارها المشركون حولها. (من الآية ٥ إلى ١٦)

المبحث الثالث: الأسرار البلاغية في قصّة أصحاب الجنة، وبيان عاقبة الكفر بالنعم. (من الآية ١٧ إلى ٣٣)

المبحث الرابع: الأسرار البلاغية في الحديث عن الآخرة وأهوالها وشدائدها، وما أُعِدّ للمسلمين والكفار (من الآية ٣٤ إلى ٤٣)

المبحث الخامس: الأسرار البلاغية في الحديث عن تسلية النبي وأمره بالصبر (من الآية ٤٤ إلى ٥٢)

ثم فصلت القول في الأسرار البلاغية لكل آية حسب الغرض العام الذي يجمعها في مبحثها- الذي ذكرت فيه- موضحة وجه جمالها وتمكنها في مكانها، وحسن تأديتها للغرض منها؛ سواء كان الأسلوب متعلقا بعلم المعاني أو البيان أو البديع. ثم تلوت المباحث بخاتمة، فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ثم أعقبتها بفهرس للمصادر والمراجع والموضوعات

والله أسأل أن يلبس هذ البحث الموجز ثوب القبول، وأن يجعله في موازين حسناتي- فهو حسبي ومنه العون وعليه التكلان، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

الباحثة

تمهيد

- **سورة القلم**

سورة القلم: وتسمى بسورة نون؛ حيث لا يوجد في القرآن الكريم سورة ابتدأت بنون غيرها، وهي سورة مكيّة، ترتيبها في القرآن الكريم السورة الثامنة والستون، وتقع في الجزء التاسع والعشرين، والحزب السابع والخمسين، في الربع الثاني، وآياتها اثنتان وخمسون آية. ويعود سبب تسمية السورة إلى القَسَم بالقلم في أولها وذلك تعظيماً للقلم. نزلت سورة القلم على الرسول -عليه الصلاة والسلام- في بداية الدعوة الإسلامية، وهي ثاني سورة في النزول بعد سورة العلق، وحسب تفسير القرطبي: أنّ معظم السورة نزلت في الوليد بن مغيرة وأبي جهل[1].

- **محاور السورة**

المحور الرّئيسي الذي تدور عليه هذه السورة هو

- إثبات نبوّة محمد -عليه الصلاة والسلام- وأخلاقه الكريمة.

- موضوع الرّسالة السماوية التي نزلت على الرسول -ﷺ-، والشبه الذي أثاره أهل مكة حولها.

- ذكر قصّة أصحاب الجنة، لبيان عاقبة الكفر بالنعم.

- الآخرة وأهوالها وشدائدها، وما أعِدّ للفريقين المسلمين والكفار.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢٢/١٨. ت البردوني، ط. الثانية- دار الكتب المصرية – القاهرة، وينظر: تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر ين عاشور ٥٨/٢٩، ط. التونسية – تونس- ١٩٨٤

– تسلية قلب الرسول ﷺ وأمره بالصبر.

- **أسباب نزول السورة**

يعد السبب الرئيس لسبب نزول سورة القلم التأكيد على أن الله حق، وأن الله قد أرسل رسالته على الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن تكذيبهم للرسول ودعوته فيه ظلم لأنفسهم، وأن هذا سيعرضهم للعذاب يوم القيامة.

–كان المشركين من قريش يتهمون الرسول عليه الصلاة و السلام بالجنون، وأنه يدعي النبوة، فانزل تعالى قوله:(ما أنت بنعمة ربك بمجنون)، وهو رد على الكفار والمشركين الذيم اتهموه بالكذب والجنون، ليؤكد أنه نبي الله وفي الأرض.

–كان الرسول ﷺ صاحب خلق عظيمة، ولم يكن أحد في قريش يمتك أخلاق مثل أخلاق الرسول، حيث كان الصادق الأمين الذي لا يكذب، ولم يكن يناديه أحد من اصحابه أو من أهل بيته إلا وقال لبيك، وكان يأتمنه أهل قريش على وضع الأمانات عنده، لذلك وصف الله تعالى الرسول عليه الصلاة و السلام بقوله (وإِنَّكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)؛ ليؤكد أخلاق الرسول الكريمة والرفيعة.

–وكان من أسباب نزول الآية بسبب ما كان يريده الكفار من اصابة الأذى بالنبي، وأن يصيبوا بالحسد ، فطلب الكفار من رجل معروف بقوة حسده، فنظر الرجل إلى الرسول واخد يقول ما رأيت أحد بجماله ولا حجمه، ولكن الله عصم الرسول عليه الصلاة و السلام من عينه وانزل الآية حيث قال تعالى (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ. (١)

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٤٤٣. ت الحميدان. ط. دار الإصلاح– الدمام– السعودية– ١٩٩٢. ط. الثانية

- **فضائل سورة القلم**

يؤمن الله قارئها من الفقر وضمّة القبر. لقارئها ثواب الذين حسُنت أخلاقهم. ثوابها كثواب الذين أجل الله أحلامهم؛ فقد ورد أنه: «من قرأ سورة (ن والقلم) في فريضة أو نافلة آمنه الله عزّ وجلّ من أن يصيبه فقر أبدا ، وأعاذه الله إذا مات من ضمّة القبر»(١) . وورد : «من قرأ هذه السورة أعطاه الله كثواب الذين أجلّ الله أحلامهم، وإن كتبت وعلّقت على الضّرس المضروب سكن ألمه من ساعته»(٢)

- **فوائد تربوية لسورة القلم**

بدأت السورة بالقسم بالقلم، دلالة على اهتمام الإسلام بالعلم الذي يُعدّ القلم مصدراً له، وتعد أوّل كلمة نزلت على الرسول –عليه الصلاة والسلام– كلمة "اقرأ" في سورة العلق؛ للأمر بالقراءة، ثمّ الإشادة بالقلم كوسيلة لنقل العلوم في سورة القلم. بيان نعمة القلم؛ حيث له أهميّة كبيرة في تدوين كتب الله المنزلة بالكتابة، والعلوم، والحكم، وأخبار الأوّليين ومقالاتهم. الله مصدر كل خير، وكل ما يفتح من أسرار هذا الوجود وأسرار النفس والحياة؛ لذا يجب على العبد شكر نعم الله وعدم التكبّر كقارون. الآية تنمية لمحبة الإنسان لربه جلّ وعلا. الله سبحانه علم الإنسان بالقلم دون غيره من المخلوقات، إكراماً له. تبين الآية عظمة الله في تسخير القلم الجامد؛ ليُعبّر الإنسان به عن ما يريد. الآية الكريمة تبين الإعجاز القرآني؛ حيث إنّها نزلت مع أول الآيات على الرسول في بداية الدعوة وفي مجتمع أمي، لا يهتمّ بالقراءة والكتابة، ولا يُعطي للقلم أهميّة، فكان للقلم فيما

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ، ص ١١٩. ط. أمير ومنشورات الشريف الرضي. الثانية

(٢) تفسير البرهان للبحراني ، ج ٨ ، ص ٨٣. ط. الأعلمي للمطبوعات. ط. الثانية ٢٠٠٦م

بعد أهمية لا تغفل. القلم وسيلةٌ ناجحةٌ في نصر الدين وكذلك في هدمه؛ لذلك يجب على كل من يستخدمه أن يتقي الله فيما يكتب ويعلم أنه محاسب عليه.

- **مناسبة السورة لما قبلها**:

لقد نزلت سورة القلم بعد سورة العلق طبقا لترتيب النزول، وقد ختمت سورة العلق بالسجود والاقتراب من رب العزة –عز وجل– فناسب ذلك أول سورة نون والقلم وما يسطرون، لأن للملك الذي يتقرب إليه ويرجى ثوابه ويخشى عقابه له طلاقة القدرة وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وأن الذي يقربهم من نوره الموسوم بحرف نون–كما جاء في بعض التفاسير– إنما هو العلم وأداته القلم الذي يعرف به العلم بمراد الحق من الخلق، كما أن القسم بالقلم يناغي قوله في سورة العلق "الذي علم بالقلم" ويؤكد على أهميته، وأن تلك الرسالة الخاتمة إنما هي لأمة علم وفقه وعمل يبدأ ويستهل تشريفها بالوحي بقوله "اقرأ" لأهمية القراءة في تحصيل العلم، ثم يأتي القلم ليكمل دائرة التعلم بالتثبيت والتقييد للعلوم والمعارف الإنسانية.

أما من حيث الترتيب المصحفي فإنه –سبحانه–: " لما أبهم الضال والمهتدي في آخر «الملك» والمسيء والمحسن في العمل أولها، وختم بآية الماء المعين الذي دلت حروفه بمجموعها على تمام معناه، ودل كل واحد منها على شيء منه، فدلت ميمه على تمام شيء ظاهر، وعينه على آية هادية، وياؤه على قائم ملطف متنزل مع كل مقام، ونونه على مظهر مبين محيط بما أظهره، وردهم سبحانه إليه بعد شرادهم عنه بالاستفهام في هذه الآية بما نبههم عليه من عجزهم وعجز كل من يدعونه من دونه وأنه لا يقدر على الإتيان بذلك الماء الذي هو حياة الأشباح بعد ذهابه إلا من تمت قدرته، فكان قادراً على كل ما يريد، وكان لا يقدر على كل ما يريده إلا من كمل علمه الذي يحيي به ميت الأرواح، دل على شمول قدرته بكمال علمه بما أفاده على النبي الكريم الأمي من

العلوم التي زخرت بحارها، فأحيا مدرارها، وأغرق تيارها، فافتتح هذه السورة بكلمة البيان وهو اسم الحرف الذي هو آخر حروف تلك، ومن لوازم بعض ما دل عليه الماء الذي هو الحياة المصححة، ونبه على نصبه له سبحانه دليلاً على العلم بما دل عليه من مخرج مسماه وصفاته ومواقعه في الكلم في جميع تقلباته فقال: {ن} "[1]

(١) نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي ٢٠/٢٧٤، ط. دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، مصر

المبحث الأول: الأسرار البلاغية في الحديث عن إثبات نبوة محمد ﷺ وأخلاقه الكريمة

لقد ابتدأ -سبحانه – السورة وافتتحها بقوله:"ن" وهي:"حرف من حروف المعجم، وهي اسم لمسمى به ظهور الأشياء وعلمها وإدراكها- كما دل عليه موقعه في اسم النور والنار والنيل والنمو والنباهة والنقاء والنصح والنبأ والنجابة والنجاة، وقد ورد عن سيدنا أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قال: لكل كتاب سر وسر القرآن هذه الحروف، ولا يعلم ما هي إلا واضعها سبحانه"[١] والنون بمعنى: نور، وهو حرف يستشعر منه النور -سبحانه- حين يسمع ذلك سيدنا رسول الله ﷺ بواسطة الوحي يطمئن القلب، ويتأمل الفكر، ويسبح الخيال .

فالله نور، ورسول الله ﷺ نور ، والقرآن نور، والقسم يحمل بين طياته كل ما ذكر، وفي ذلك من التأكيد والتقرير ما فيه، وبما يحمله الحديث من بلاغ، وبما فيه من تخصيص وتنبيه على أمر عظيم، وفيه شد انتباه السامع للإصغاء، وقصر القسم بذلك الاسم المعظم فى هذه السورة- مع ما أقسم -سبحانه- به من "القلم وما يسطرون" وما لهذا الحرف الجليل من حروف اللغة للدفاع عن النبي ﷺ وتبرئته مما يشينه؛ فجاء جواب القسم:" ما أنت بنعمة ربك بمجنون"[٢]. وفي هذا براعة استهلال ؛ كما أن القسم به سبحانه و"ما يسطرون" من أعظم وأبدع وأقوى البدايات فى السورة، فالنور يظهر جلياً واضحاً مخبراً بحرف يحمل بين طياته نوراً وقلماً وأسطرًا .

وقد عطف "القلم" بالواو خاصة على نور؛ للتعظيم والإجلال- فقد أتى بالاسم الأعظم- وكل أسمائه أعظم- ثم بالفعل المضارع "يسطرون" الذي يفيد

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢٠/٢٧٤

(٢) سورة القلم الآية ٢.

الاستمرار والتجدد مع استحضار الصورة، واتصلت هذه الجملة بما قبلها بالواو؛ لأنها وقعت منها موقع التوكيد؛ فقد اتفقت الجملتان فى الاسمية، مع وجود الجهة الجامعة، والمناسبة بينها من كمال الاتصال، وليس هناك ما يمنع من العطف. وجاء المعنى: بأن الله سبحانه ونوره الهادى رسول الله ﷺ والقران الكريم؛ وما يسطرون؛ فيكون الكلام كاملاً فى جميع جوانبه ونواحيه، فما الذى يمنع الناس من الإيمان والإسلام بعد ذلك؛ وقد جاءنا رسول الله عليه الصلاة والسلام "وما أرسلناك الا رحمة للعالمين"(١)

وجاء بـ(ما) الموصولة التي بمعنى (الذي)- وهي من الموصولات المشتركة التي يستوى فيها المذكر والمؤنث والمثنى والجمع- للتعميم؛ فيشمل كل أنواع الكتابة والمكتوب، وكذلك يشمل الكاتبين من الملائكة والناس وغيرهم.

وفى قوله:" وما يسطرون " يصح أن يكون السطر بمعنى العمل، أو الكتابة(٢)، والأصح الكتابة؛ لأن الكتابة هي عمل القلم وثمرته. وذكر السطر بعد القلم فيه تناسب ومراعاة نظير.

وقد أقسم -سبحانه- بقلم القدرة-لا بأي قلم- لأنه -تعالى-: "ليس كمثله شيء" فلا يكون مثل قلمه السميع البصير قلم ولا يدانيه.

وكان عطف القلم على (ن) بمعنى النور بالواو، و(ما) المتصلة بجملة (يسطرون) بالواو على (القلم)- أبدع ما يكون بالوصل؛ حيث جعل الحديث مرتبطاً بعضه البعض؛ آخذا بعجز بعض؛ فالقلم لا يكون إلا بالسطر، وقد دونت الكتابات بالتسطير. وكما جاء إلينا القرآن الكريم الكتاب المستمد نوره من نور

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٤٤ ، عماد الدين الفداء اسماعيل بن كثير ، مكتبة الصفا، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.

الله ﷻ وهو مسطور من لدن الملائكة الكرام الكاتبين الحفظة-عليهم رضوان الله-.

وجاء "يسطرون " بالجمع تعظيما له، ويراد به جنس ما به الخط؛ وذلك لأن ما يكتب في أسطر يكون بحسب الموضوع الذي يكتب، فكيف يكون إذا كان المكتوب عظيما؟!

وقوله سبحانه:" ما أنت بنعمة ربك بمجنون" جواب القسم، وقد جاء رداً على قول المشركين افتراء وتعنتا وكبرًا على رسول الله ﷺ :" يا أيها الذي نزل عليك الذكر إنك لمجنون" [١] وفيه كمال الدفاع عن النبي ودلالة على عقله الراجح، وأنه غاية في إحكام العقل والقول والحديث.

وهنا إشكال "حاصله أن أبا حيان منع تسلط النفي على الشيء دون ما قيد به، والسفاقسي أجازه- وزَلَّ الزمخشري كذلك فِي تأويل هذه الآية زَلَّةً لَا تَلِيقُ بِعِلْمِهِ- كما قال العلامة الطاهر بن عاشور[٢]- والصواب أن يقال: إما أن يقدر ذلك القيد داخلا قبل النفي وبعده، فإن كان قبله لزم -من نفي ما هو قيد فيه - نفيه هو، وإن كان بعده فالقيد مثبت، والجنون منفي؛ أي: ما أنت بسبب وجود نعمة ربك مجنون، فيكون قيدا في النفي، لا في الجنون المنفي[٣]." وَقَدْ أُجِيبَ قَوْلُهُمْ وَتَأْكِيدُهُمْ ذَلِكَ بِحَرْفِ (إِنَّ) وَلَامِ الابتِدَاءِ؛ إِذْ قَالُوا "إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ" بِمُؤَكِّدَاتٍ أَقْوَى مِمَّا فِي كَلَامِهِمْ؛ إِذْ أُقْسِمَ عَلَيْهِ وَجِيءَ بَعْدَ النَّفْيِ بِالْبَاءِ الَّتِي تُزَادُ بَعْدَ النَّفْيِ لِتَأْكِيدِهِ، وَبِالْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ مَنْفِيَّةً لِدَلالَةِ الْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ عَلَى ثَبَاتِ الْخَبَرِ، أَيْ: تَحَقُّقِهِ؛ فَهَذِهِ ثَلاثَةُ مُؤَكِّدَاتٍ"[٤]. و"المراد تنزيهه ﷺ من الجنون-الذي رماه به

(١) سورة الحجر الآية ٦

(٢) تفسير التحرير والتنوير ٦١/٢٩

(٣) تفسير ابن عرفة ٢٦٨/٤، ط. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط. الأولى ٢٠٠٨م

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٦٢/٢٩

أعداؤه- حسداً وعداوة ومكابرة[1] ورسالة الأنبياء والمرسلين تقتضي العقل السليم؛ لذا نفى ﷻ الكهانة والجنون والسحر والشعر عن رسول الله ﷺ، وكل ذلك فيه دلالة على جهل عقولهم وسفاهة فكرهم. وهو مفاد القصر الذي طريقه تقديم المسند إليه في النفي -كما عليه شيخ البلاغيين؛ بأن المسند إليه إذا تقدم في النفي أفاد القصر والتخصيص حتمًا-[2] فالضمير المتصل مسند إليه بعد أداة النفي (ما) والجنون مسند منفي عن النبي ﷺ فهو ثابت لغيره قطعا- وهم المشركون أعداء الدعوة، وإن لم يفد الأسلوب القصر ففيه تقوية هذا المعنى وتأكيده -على كل حال.

وعليه فقد كان جواب الشرط جملة اسمية، أتى فيها بـ(ما) النافية، والضمير المنفصل "أنت" المؤكد للمعنى، وبالباء للتوصل للمعنى، والتى من معانيها الإلصاق لنعمة مسندة إلى رب المضاف إلى ضمير المخاطب للتشريف والتعظيم ثم بالباء المفيدة للاستعانة للتوصل لنفى الجنون، ولتقرير الكلام فى الذهن وتثبيته، وذلك فهي كالباء في "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ" على معنى منذ البداية هذه الأمور جميعها لا تجوز فى حق المرسلين والنبيين. وأن الرسول ﷺ مستعلٍ عن ذلك كله، وقد تأتى الباء على معنى أن ذلك بعض ما قالوه الإنس والجن فى حق النبيين فنفى ذلك الله ﷻ مؤكداً ومشدّداً.

(١) روح المعانى للألوسي١٥/ ٢٩ ، ت. علي عبد الباري عطية. ط. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط. الأولى ١٤١٥هـ

(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ١٢٤، ت. الشيخ محمود شاكر، ط. المدني- القاهرة . ط. الثالثة ١٩٩٢م

وفي قوله ﷻ :"وإنَّ لك لأجر غير ممنون" [١] بوصل الكلام بالواو؛ لأن الحديث السابق من جنس الحديث اللآحق؛ وللمناسبة بين الاعتراف بنعمة الله – تعالى– علي النبي ﷺ وبين الأجر غير الممنون من الله عليه أيضا.

وجاء بـ(إنّ) الناسخة المؤكدة لتعظيم ثواب النبي الكريم، وقدم الجار والمجرور في قوله "لك" لإفادة قصر الأجر الدائم غير المنقطع للمخاطب صلوات الله وسلامه عليه، أي: لك خاصة دون غيرك أجر غير مقطوع ولا منقوص. وأتى بلام الابتداء فى قوله "لأجرا" لتأكيد استحقاق النبي ﷺ العطاء الجزيل، ومن الإعجاز التوسع في المعنى المفاد من قوله تعالى "ممنون" حيث يجوز أن يكون "ممنون" من "المنّ" وهو الأذي والافتخار من المعطِي على المعطَى، أو من "المن" وهو القطع، فأراد المولى نفي الأمرين– الأذي والقطع– كليهما عن النبي ﷺ ؛ وَلِهَذَا كَانَ لِإِيثَارِ كَلِمَةِ «مَمْنُونٍ» هُنَا مِنَ الإِيجَازِ بِجَمْعِ مَعْنَيَيْنِ بِخِلافِ قَوْلِهِ تعالى: "عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ"[٢] فِي سُورَةِ هُودٍ؛ لأَنَّ مَا ها هُنَا تَكْرِمَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ.[٣]

وقد جاء المسند إليه "أجرًا" منكرا لإفادة التعظيم والتكثير، ثم قيده بالوصف "غير ممنون" للدلالة على ديمومته وثباته إكراما لمقام النبي عند ربه، وكذلك أفاد الاحتفاظ بالجرس الموسيقي لألفاظ الفاصلة؛ فكان السجع والجناس غير التام بين "مجنون وممنون" وقد طلبه المقام واقتضاه النظم فهو عفو غير متكلف؛ وهذا فيه من التأثير في النفس ومراعاة لنظم الكلام ما فيه–كما قال شيخ البلاغيين[٤]–.

---

(١) سورة القلم الآية ٣.

(٢) سورة هود الأية ١٠٨

(٣) التحرير والتنوير ٦٣/٢٩

(٤) دلائل الإعجاز صـ ٢١٢

ثم كان ختام هذا المحور قوله:"وإنك لعلى خلق عظيم" [١] فجيء بالواو مرة أخرى؛ لربط الجمل؛ وتناسق الأسلوب؛ واستعملت فيه (إنّ) لتحقيق وتأكيد مضمون الخبر بعدها، وربطها بما قبلها، كما أتى بضمير المخاطب لاتصال الخطاب بالنبي ﷺ تحقيقاً وتقديراً ولكمال العناية به ؛ قال العلامة ابن عاشور:" وَبَعْدَ أَنْ آنَسَ نَفْسَ رَسُولِهِ ﷺ بِالْوَعْدِ عَادَ إِلى تَسْفِيهِ قَوْلِ الأَعْدَاءِ؛ فَحَقَّقَ أَنَّهُ مُتَلَبِّسٌ بِخُلُقٍ عَظِيمٍ وَذَلِكَ ضِدُّ الْجُنُونِ مُؤَكِّدًا ذَلِكَ بِثَلاثَةِ مُؤَكِّدَاتٍ- مِثْلُ مَا فِي الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ" [٢]

وأضاف العظيم إلى الخلق للدلالة على مزيد الاهتمام ولزيادة تقرير الغرض المسوق له الحديث، وتمييزه فى ذهن السامع أكمل تمييز، وفيه دلاله على قربه من قلب مولاه ﷻ وأنه بالمكانة الرفيعة السامية.

وأوثر التعبير بحرف الجر (على) ليفيد أنه ﷺ متمكن من الأخلاق العالية الكريمة مستعل عليها لفظاً ومعنى. وفيه استعارة في الحرف؛ بتشبيه تمكن النبي ﷺ من الأخلاق كتمكن الراكب بالمركوب وحذف المشبه وتنوسي التشبيه وادعي أن المشبه داخل في جنس المشبه به وفرد من أفراده، ثم استعير الحرف الدال على المصدر الاستعلاء على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ولا يخفى ما فيها من قوة التعبير وإيجازه وخلابته وتنويع التعبيرلتنبيه المتلقين؛ فيستقر ذلك في وجدانهم استقرار المأنوس به الموطأ له.

وها قد لاحظنا استيلاء الجمل الاسمية وأساليب التوكيد بالقصر وباسمية الجمل وكثرة التعبير بـ (إنّ) والتقديم على هذا المحور؛ لأن عليه مدار السورة- كما أسلفت، فقد احتشدت كل هذه الأنماط البلاغية لتأكيد نبوة الرسول ومكانته عند ربه وأنه في قمة الهرم للأخلاق القويمة والسلوك الرفيع.

---

(١) القلم ٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/٦٣

المبحث الثاني: الأسرار البلاغية في الحديث عن الرسالة المحمدية والشبه التي أثارها المشركون حولها

انتقلت الآيات المباركات لتسلط الضوء على جانب آخر من الدعوة إلى الدين الحق؛ ألا وهو جانب المعاندين لرسالة النبي ﷺ والذين لم يفتؤوا يواجهون الدعوة بكل أذي، ويعارضونها بكل السبل، ويأبى الله إلا أن يتم نوره. قال البقاعي:" لما أقسم سبحانه على نفي ما بهتوه به ودل على ما وهبه من كمال العقل وتمام الشرف والنبل تصريحاً وتلويحاً، فثبت غاية الثبات بأخبار العالم الحكيم، دل عليه بالمشاهدة على وجه هو من إعلام النبوة للحكم على المستقبل؛ فقال- مسبباً عن صادق هذا الإخبار-:{فستبصر}أي: ستعلم- يا أعلى الخلق وأشرفهم وأكملهم- عن قريب بوعد لا خلف فيه، علماً أنت في تحققه كالمبصر بالحسن الباصر {ويبصرون } أي: يعلم الذين رموك بالبهتان علماً هو كذلك." (١)

قال ﷻ :" فستبصر ويبصرون" (٢) بين تبصر ويبصرون جناس غير تام يزيد المعنى وضوحا ويقرره في الأذهان من تهديد الله لأعداء الرسالة المحمدية الجاحدين دعوته، وأتى بالفعل المضارع للتجدد والحدوث، وجيء بالفاء للترتيب والتعقيب بلا مهلة، والسين التى من معانيها أنها: حرف يختص بالمضارع، ويخلصه للاستقبال، ويقال: حرف تنفيس توسعا؛ لأنه يقلب المضارع من الزمن الضيق الحال إلى الزمن الواسع في الاستقبال، وقد ذكر بعضهم: بأنه قد يأتي لاستمرار الاستقبال ، وتفيد: أن الإبصار سيحصل لا محالة لإفادتها الوعد فى محصول الفعل لتوكيده وتثبيت معناه نحو قوله ﷻ: " فسيكفيكهم الله" (٣). والسين كما تفيد وجود الرحمة تؤكد الوعد والوعيد، وقدر لفظ الجلالة لدلالة

---

(١) نظم الدرر ٢٠/٢٩٥

(٢) سورة القلم الآية ٥.

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٧.

الجملة عليه، وجاء اللفظ "فستبصر" لرسول الله ﷺ وعد حق خير فى الدنيا والآخرة، "ويبصرون" على معنى معاينة العقاب والعذاب الدنيوي والأخروي. وقد حذف المفعول به منهما إيجازا للعلم به من سياق التهديد.

ورد الكلام: فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومتبعوك من المفتون؛ فقال – تعالى–: "بأيكم المفتون" [١] جاءت كلمة (مفتون) فى المعجم على معنى: فتن فلاناً فتناً وفتوناً: عذبه ليحوله من رأيه أو دينه، والفتنة على معنى الابتلاء " ونبلوكم بالشر والخير فتنة" [٢] أما ما ذكر بخصوص شبهة الجنون، فذلك يستحيل على خاتم المرسلين والنبين جميعا؛ لأن مقتضيات الرسالة تمنع من ذلك، وجميع كتب التفسير– تقريباً– تشرح الآية بالجنون وذلك على الله ورسوله ﷺ مستحيل، قال العلامة ابن عاشور:" والْمَفْتُونُ: اسْمُ مَفْعُولٍ وَهُوَ الَّذِي أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ، فَيَجُوزُ أَنْ يُرَاد بهَا هُنَا الْجُنُونُ فَإِنَّ الْجُنُونَ يُعَدُّ فِي كَلامِ الْعَرَبِ مِنْ قَبِيلِ الْفِتْنَةِ (يَقُولُونَ لِلْمَجْنُونِ: فَتَنَتْهُ الْجِنُّ) وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ مَا يَصْدُقُ عَلَى الْمُضْطَرِبِ فِي أَمْرِهِ الْمَفْتُونِ فِي عَقْلِهِ حَيْرَةً وَتَقَلْقُلا، بِإِيثَارِ هَذَا اللَّفْظِ، دُونَ لَفْظِ الْمَجْنُونِ مِنَ الْكَلامِ الْمُوَجَّهِ أَوِ التَّوْرِيَةِ لِيَصِحَّ فَرْضُهُ لِلْجَانِبَيْنِ." [٣]

وقد بين بعض المؤلفين بقوله: قوله: " فستبصر ويبصرون" في الدنيا بظهور عاقبة الأمر بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والغلبة، وصيرورتك مهيباً معظماً فى قلوب العالمين، وكونهم أذلة صاغرين، ويشمل هذا ما كان يوم بدر، ثم استأنف قوله سبحانه "بأيكم المفتون" على أنه استفهام يراد به التهديد والوعيد[٤].

---

(١) سورة القلم الآية ٦.

(٢) سورة الأنبياء الأية ٣٥ ، وينظر معجم لسان العرب لابن منظور ، مادة (ف–ت–ن)

(٣) التحرير والتنوير ٦٦/٢٩

(٤) روح المعانى ٢٩ / ٢٦.

قولـه: "إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" [١] استئناف لبيان ما قبله، وتأكيد لما تضمنه من الوعد والوعيد[٢]، فلذلك ساغ الفصل، وكأن الآية هنا جواب لسؤال يقدر من الآية السابقة.

وقوله :"إن ربك" أتى فى الخطاب بالتوكيد مرة أخرى بـ (إنّ) وباسمية الجملة وبالقصر بتوسط ضمير الفصل (هو)؛ كل هذا للتأكيد على علم الله الشامل والتهديد لمن عصاه، والرضا لمن اهتدى بهداه. وقد أتى بالآيات السابقة مجملة، ثم فصل فى معرض الوعد الحق، وكذا الوعيد والتهديد؛ وذلك ليرتدع الناس ويعودوا إلى الله ﷻ. وأتى بالآية إستدلالا بالتمثيل يزيد الكلام معنى يدل على صحته، وجاء بالضمير منفصلا ليؤكد الضمير المتصل في (ربك) بالضمير المنفصل (هو) من توكيد الضميرين " وذلك إذا كان للمعنى المقصود معلوماً ثابتاً فى النفوس فأنت بالخيار فى توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر، وإذا كان غير معلوم –وهو مما يشكل فيه– فالأولى –حينئذ– أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر فى الدلالة عليه لتقرره وتثبته[٣].

وقد أوثر التعبير بـ(علم) التى تنصب مفعولين، وأتى بالباء للاستعانة للتوصل للمعنى المراد، وعطف جملة "وهو أعلم بالمهتدين" على جملة "هو أعلم بمن ضل عن سبيله" للتوسط بين الكمالين مع وجود مسوغ العطف وهو اتصال المعنى لبيان الحالين المتقابلين. وفى الجملة تذييل مؤكد لما رمز إليه – كما أن فى الآية طباقا بين الضلال والهدى يؤكد المعنى ويقرره في الأذهان.

وقدم الوعيد على الوعد للأهمية في هذا المقام، أى: على هيمنة الإيمان بالله وتوحيده، ثم يكون الوعد، وقد عبر عن الشرك بالضلال بجامع عدم الاهتداء

---

(١) سورة القلم الآية ٧

(٢) روح المعانى ٢٥ ، ٢٦.

(٣) المعجم المتصل فى علوم البلاغة ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

فى كل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. وكذلك- عبر عن الإيمان بالهداية بجامع الوضوح والاهتداء فى كل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. وفي الاستعارة الإيجاز والتوضيح والتأكيد للمعنى المراد بثه في نفوس المتلقين.

ثم أتى بالفاء و بعدها (لا)النافية في قوله تعالى-:"فلا تطع المكذبين" أي: لا تطع المكذبين بك يا محمد ﷺ . وذلك لترتيب النهى على ما تقدم، ثم كان الفعل المضارع المفيد لاستمرار المنهي عنه في جميع الأحوال، ولتنبيه الرسول ﷺ إلى الإصغاء للأمر المهم الآتي، وعبر بالمكذبين جمعا لا مفردا للمبالغة، وهذا الأسلوب فيه التشويق لما بعده.

في قوله: "وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون "[1] وقد أتى بكلمة (الود) وهى شدة الحب للدلالة على معنى المدح يراد به الذم؛ يقال: هذه الآية تعليل للنهى والانتهاء، وعبر عنها بالطاعة؛ للمبالغة فى التنفير، ولتسامحهم فى بعض الأمور (فيدهنون) أى: فهم يدهنون حينئذ، أو فهم الآن يدهنون؛ فالفاء للسببية داخلة على جملة مسببة عما قبلها، وقدر المبتدأ لمكان رفع بالفعل، والفرق بين الوجهين: أن المعنى على أنهم تمنوا لو تدهن فتترتب مداهنتهم على مداهنتك، ففيه ترتيب إحدى المداهنتين على الأخرى.

وبين تدهن ويدهنون جناس غير تام يؤكد المعنى، فالإدهان الأول على معنى عدم طاعتهم فى ذلك، والثانى على معناه المذكور . وذلك يستحيل على رسول الله ﷺ. وأتى بالأفعال المضارعة التى تفيد تجدد هذا الأمر وحدوثه فى كل زمن من الأزمنة طالما كان هناك معارضون للدين القويم، وأتى بالفاء فى (فيدهنون) ليدل على سرعة إدهانهم ويخبر علام الغيوب عما فى قلوبهم. وأتى

(١) سورة القلم الآية ٩.

ب(لو) حرف شرط فى المعنى ليصرف المضارع إليه فتأتى لمجرد ربط الجواب بالشرط دالة على التعليق فى الماضى، و(لو) تدل على امتناع لا ثبوت كقولك: لو جاء زيد أكرمته؛ لكنه لم يجيء ، ويقول سيبويه: لو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وتقتضى فعلاً ماضياً كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره، والمتوقع غير واقع؛ فكأنه قال: حرف يقتضى فعلاً امتنع لامتناع ما كان يثبت لثبوته، أو أنها حرف امتناع الامتناع يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط أو أنها حرف يقتضى امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه غير تعرض لنفى الثانى(١).

ثم أعقب الجملة الإنشائية بجملة إنشائية أخرى أسلوبها النهي في قوله:"ولا تطع كل حلاف مهين"(٢) والغرض من النهى الكف عن طاعة كل حلاف مهين على طريق الوجوب والإلزام ، وقد أتى هنا على سبيل المجاز فرسول الله ﷺ لا يطيع المكذبين ولا يطيع كل حلاف مهين، وإنما خرج إلى معنى مجازي هو التهديد؛ للعمل بأوامر الله ﷻ وفى الأسلوب مجاز مرسل والعلاقة بين النهى والتهديد السببية.

وذكر المكذبين جمعا مرادا به بعض الناس مجاز مرسل أيضا علاقته الجزئية، وكذلك يقال في (كل حلاف مهين). وفى هذا الأسلوب طلب الكف عن الحلف الكاذب والعودة إلى الله وفى هذا الأسلوب من الزجر ما لا يخفى، وفيه من التحقير للمكذبين ولكل حلاف مهين ما فيه؛ لأنهما ليسا ممن يعتد بكلامهما وكذا التوبيخ فى النكرات في قوله "وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِين * هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيم(٣)"

(١) الاتقان فى علوم القران ٢٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧.

(٢) سورة القلم الآية ١٠.

(٣) سورة القلم الآيتان ١٠ ، ١١.

يقال: الهمزة : النقرة فى الأرض، وهمزات الشياطين: خطراته ووساوسه. وهمّاز: صيغة مبالغة فى كثرة الهمز. ونكر للتحقير والتهكم. وكذلك الأمر فى (مشّاء) وهي صيغة مبالغة بكثرة السعي بين الناس بالباطل، فيقول لهذا كلاما ولآخر كذلك.

و" مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ" مضرب بين الناس، نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم. والنميمة: السعاية، و(مَنَّاعٍ): بخيل. والخير: المال. أو: مناع أهله الخير وهو الإسلام، فذكر الممنوع منه دون الممنوع، بحذف المتعلق وهو معمول صيغة المبالغة للتعميم؛ كأنه أراد أن عدو الله مناع من كل خير. و" مُعْتَدٍ" مجاوز في الظلم حده "أَثِيمٍ" كثير الآثام "عُتُلٍّ" غليظ جاف، من عتله: إذا قاده بعنف وغلظة بَعْدَ ذلِكَ بعد ما عدّله من المثالب والنقائص زَنِيمٍ: دعي؛ جعل الله جفاءه ودعوته أشد معايبه؛ لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية؛ ولأنّ الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشيء منها. والمعنى: لا تطعه مع هذه المثالب" [1] وليس المراد بالموصوف بهذه الصفات شخصاً بعينه وإنما تندرج على كل من تنطبق عليه هذه أوصاف القران فى الآيات المذكورة – والله اعلم

قوله: " أن كان ذا مال وبنين " [2] أي : هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين؛ فقد كفر بآيات الله ﷻ وأعرض عنها وزعم أنها كذب " إذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الأولين " [3]. والمراد به التوبيخ أي بسبب كونه ذا مال وبنين كذب، والشرط للمخاطب، أى: لا تطع كل حلاف شارطاً يساره، بتقدير لام

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٥٨٦/٤، ٥٨٧ بتصرف، ط. دار الكتاب العربي– بيروت– لبنان. الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ.

(٢) سورة القلم الآية ١٢.

(٣) سورة القلم الآية ١٤ ، وينظر تفسير ابن كثير ، ص ٣٤٧.

التعليل، وهو متعلق بقوله تعالى "لا تطع"[١] . فقد أتى بـ(أن) فى الابتداء لهذه الآية حرفاً مصدرياً الناصب للمضارع، ثم أعقبه بالفعل الناسخ (كان) ومعناه فى الانقطاع، فالمراد معنى الدوام والاستمرار، أي: لم يزل ذا مال وبنين، وتأتى (أن) للحال والاستقبال والصيرورة وبمعنى: ينبغى وللتأكيد[٢] وقد تأتى نافية لجملة القول، وقد تكون تعليلاً للجملة- كما ورد من قبل-، فاجتمع فى الآية (أن ، كان ، ذا) كل ذلك من أدوات لها قيمتها فى تأدية المعنى المراد، وقدم المال على البنون؛ لأهميته وكونه سببا فيه.

وقوله: " إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين" استئناف جرى مجرى التعليل للنهى، ويجوز أن يكون (أن) متعلقاً بنحو كذب، ويدل عليه الجملة الشرطية، ويقدر مقدماً دفعاً لتوهم الحصر؛ كأنه قيل: كذب، والمراد: أنه بطر نعمة الله تعالى، ولم يعرف حقها، ولم يجز تعلقه بقال المذكورة بعد؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، ولعل من يقول باطراد التوسع فى الظرف يجيز ذلك وكذلك من يجعل (إذا) هنا ظرفا.

(إذا) يقال: للتعليل وللشرط، (تتلى) فعل مضارع مبنى للمجهول، للاستمرار في كل زمان ومكان، و(عليه) جار ومجرور مقدم للاختصاص (آياتنا) معرف بإضافة التشريف؛ وفي (أساطير الأولين) استعارة تصريحية.

قال-تعالى-: "سنسمه على الخرطوم" [٣] بدأ الآية بأسلوب شديد متوعداً وعيداً واضحاً بشيء خاص، غير معهود من قبل، بالمبتدأ الذى جاء بعده بجار ومجرور وخبر؛ ليبين حقيقة (سنسمه) من وسم، والسنام: واحد أسنمه الإبل، وتسنمه أى: علله، وذلك كأن يجعل له سمة وعلامة على (الخرطوم) وهو

(١) الكشاف ٤/ ١٤٣.

(٢) الاتقان ٢/ ٢١٦ ، ٢١٧.

(٣) سورة القلم الآية ١٦.

الأنف، وسمه على الخرطوم إذلال له ، وأوثر مجيء حرف الجر (على) للإشعار بمدى حقارته ووضاعته. وفى الآية كنايتان كناية هنا عن الذل، وكناية عن العز في قوله: (أن كان ذا مال وبنين)، كما أن فى الآية مجازا مرسلا بذكر الخرطوم والمراد الوجه، لعلاقة الجزئية، كما ترى الاستعارة في استعارة الخرطوم للناس وهو للحيوانات، بجامع عدم التعقل فى كل وحذف الإنسان ورمز له بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة حالية وفائدة هنا الأسلوب الاستهزاء والسخرية.

المبحث الثالث: الأسرار البلاغية في قصة أصحاب الجنة، وبيان عاقبة الكفر بالنعم

بدأ الحديث عن قصة أصحاب الجنة وفتنتهم وأنها فتنة مشبه بها حال من فتنه ماله أو ولده وصده عن سماع الحق وقبول دعوة الإسلام؛ فاستهلها الله بالتأكيد في قوله –تعالى–:"إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة" وكان التأكيد بإن واسمية الجملة لتقرير وتثبيت أمر الابتلاء كابتلاء أصحاب الجنة– التي سأورد قصتهم إن شاء الله –تعالى–، ثم ذكر لفظ الجمع " بلوناهم" الابتلاء –كما ذكر سبحانه– فيما أسلفت النفس فى أصحاب الجنة بالحسنات والسيئات "ولنلبوكم حتى نعلم المجاهدين فيكم والصابرين ونبلو أخباركم"[١]

وشبه ابتلاء الله– سبحانه– لمن ضل عن سبيله بابتلاء أصحاب الجنة وحذف نوع الابتلاء، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة حالية.

أى: مثل ما بلونا، فالكاف فى محل نصب صفة مصدر مقدر، وما: مصدرية، وقيل: موصولة؛ بمعنى الذى أتى كالبلاء الذى بلوناه[٢].

" أصحاب الجنة" هم أبناء رجل كان يؤدى حق الله –تعالى– منها، فمات فصارت إليهم فمنعوا الناس خيرها ، وبخلوا فكان ما ذكره الله –تعالى .

وقدم (إنا) ضمير المتكلم لاختصاص الله ﷻ بذلك دون غيره، وان ذلك مكتوب فى اللوح منذ الازل قبله " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب" [٣] يذكر سبحانه " بلوناهم " بالجمع وحتى فى الإخبار بالجمع دون المفرد، وفى

---

(١) سورة محمد الآية ٣١ .

(٢) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ٢٩/ ٢٩.

(٣) السابق الجزء والصحيفة.

النفس كذلك وفى البعض بالبعض ومن الله خاصة دون غيره ، وذلك لمعرفة (أيكم احسن عملا) ولمعرفة الصابرين والمجاهدين ، ولاطمئنان القلب ، ولمعرفة (من أوفى بعهده من الله) وليوضح ويبين –سبحانه– بأنه على رجع الانسان لقادر ، ولمعرفة الزلزال من البلاء، وكذلك لمعرفة البلاء الحسن المبين ، وكذا للرجوع لله رب العالمين.

ولم يقل: (مالكى الجنة) لأن الملك لله وحده– لا شريك له– ا لملك الحق المبين.

وأتى ب(إذ) الفجائية؛ وذلك حتى يبين وسوسة الشيطان، ومن يتبعه.

والقسم شيء جليل له ماله عند الله وخاصة وأن المقسم به "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" [1] فالقسم يكون فى الخير، ويجب أن لا يقسم به الناس فى شيء إلا للضرورة.

ثم جاء قوله:" ليصرمنها" اللام لابتداء القسم –أيضا– وفى هذا إجحاف لحق الله –سبحانه– بعدم إعطاء الفقراء الحقوق.

وفى "مصبحين" دلالة على القول حين قال سبحانه: " إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب" [2] ثم جاء بلفظ (الاستثناء) وعلى هذا المعنى لا يكون إلا الخير، أما استثناء فعل لا يرضى الله ﷻ فلا تصح معصية الله ﷻ فى أمر من محكم ومتشابه ودلالة كلامهم أنهم سينهوا خيراً، قال به الله سبحانه– فالخير لا ينهى وإنما يتم القضاء عليهم بما كانوا يعلمون، وفى الاستثناء معنى الدين والخوف من الله ورسوله، وهذه الكلمة وردت مرة واحدة ضمن القرآن الكريم

(١) سورة الشورى الآية ١١.

(٢) سورة هود الآية ٨١.

جملة؛ مما يدل عل أهمية هذا اللفظ ليؤخذ فى الاعتبار عند كل عمل يقدم عليه الانسان حتى لا يندفع ويفكر .

ثم استعمل لفظ الطواف في قوله: "فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون" وحقيقة الطواف من :طاف به، وحوله، وعليه، وفيه، طوفا، وطوافاً :دار وحام، والخيال به، أو عليه: ألمَّ ، وأطاف به، أو عليه: طاف، وأحاط به: وطوف حول وبه أو عليه.

وخص الطائف "من ربك" دون لفظ الألوهية لأن المقام مقام تأديب وتربية.

وقيد الفعل بشبه الجملة- الجار والمجرور- في قوله: " من ربك "[١] للأهمية التى تفيد الاختصاص والتعظيم و(هم نائمون) الجملة حالية ليبين الحالة التى هم فيها. وهي كناية عن غفلتهم، فكان كل ذلك فى غلفة منهم، وأتى بالمسند إليه (هم) ضميرا منفصلا لتقرير حالهم ولتوكيد عزمهم على ذلك.

- وعلى الفور "فأصبحت " الفاء للترتيب والتعقيب على جهلهم، والإصباح أي: أيقظهم الله وحده- لا شريك له- وفرق بين الصبح والإصباح على معنى: تم إصباحهم لمعرفة ما فعلوا.

فهذا ما حدث مع أصحاب الجنة، ولكنهم أصروا على صرمها، فأصبحت كالصريم : (صرم) الشيء صرما: قطعه وصرم فلاناً: هجره وصرم السيف: كان قاطعاً ماضياً و:فلانا: كان جلداً ماضياً فى أمره، فهو صارم ، وانصرم: اقتطع وانصرم الليل : ذهب، والشتاء: انقضى، وسيف صارم: قاطع ورجل صارم: باتّ فى أمره ماض، والصريم: ما جمع ثمره.[٢]

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٠.

(٢) لسان العرب مادة (ص-ر-م)

شبه سرعة جمع الثمار –بعد أن أفاقوا– واصرارهم على عدم إعطاء الحق – الذى قال به سبحانه – بقطع الشيء وذهاب الخير لهم بذكر المشبه وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة مكنية والقرينة حالية. والأسلوب جميعه كناية عن غفلتهم.

"فتنادوا مصبحين" [1] قد يكون المعنى من فرط الذهول، وأنهم غير متوقعين ذلك– نادى بعضهم البعض فى نفس التوقيت– والأحرى بهم أن ينادوا الله ﷻ سبحانه باسمه الأعظم، لذا قيل (تنادوا) ولم يقل (نادوا)

لما أضمروا فى أنفسهم وجهروا بالقسم "ليصرمنها مصبحين" كما أنهم وضحوا ولا يستثنون، فجعل سبحانه صبحهم فى ضلال مبين، والمفاجأة شديدة، "فأصبحت كالصريم" لذا تنادوا؛ لأنهم لم يعطوا حق المساكين، الذى قدره الله لهم، لذا حرمهم الله سبحانه.

وأتى بـ (أن) المفتوحة وذلك فى موضعي الابتداء؛ فتكون فى محل رفع، وذلك الذى وضحه– سبحانه وتعالى– وكذا بعد لفظ فيه اليقين (اصبح)

وعبر بفعل الأمر (اغدوا) وكأنها تفسير التنادي، وتوضيح لسرد القصة وما حدث فيها؛ حيث خرج من معناه الحقيقى إلى معنى مجازى، يعرف من سياق الآية، وأتى به هنا للإسرع فى ذلك. كما قيل " اغدوا" [2] على معنى: لا تطيلوا أكثر من الوقت المعلوم –وهو الظهيرة– على معنى التبكير غدواً، وعلى معنى الشروع فى الحرث، أو أنه قصد على معنى جمع الحرث مبكراً، وقد يكون على معنى آثارها للزراعة، فهو حراث والمال جمعه فهو حارث، والحراثة الحرفة (والحرث) الزرع .

---

(١) سورة القلم ٢١.

(٢) سورة القلم ٢٢ ، المعجم الوجيز مادة ٤.

وفى الكلمة معنيان معنى قريب هو حرث الدنيا ومتاعها من مال وبنين وغيرهما ومعنى بعيد هو حرث الاخرة بالعمل الصالح الباقى، والمراد العمل الصالح الباقى؛ فالأسلوب تورية تؤكد المعنى وتقويه.

وقد أجمل الآية ثم فصلها بعد ذلك، وذلك من حسن الافهام ومراعاة البيان.

قوله: " فانطلقوا وهم يتخافتون" [١] أي: تحرروا من القيود[٢] وأتى بالفاء للترتيب والتعقيب، وفي الانطلاق بالتحرر من القيود كناية عن إضمار شيء لا يعلمه إلا الله.

وأتى بضمير الغائب منفصلا ثم قيل: يتخافتون، وعبر عن خفت الصوت بالتخافت، وذلك لأهمية المتحدث فيه.

وقد عبر بالفعل المضارع المفيد للتجدد والحدوث لذا قيل : (أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين) [٣] عبر بأن المخففة من الثقيلة ولا الناهية والفعل المضارع "يدخلنها" بنون التوكيد والهاء ضمير متصل، وعبر باليوم معرفة لإرادة نفس المعنى في هذا التوقيت والمكان. و(عليكم) هذا اللفظ يستعمل فى السلام، واستعماله هنا مجاز، وعبر بيدخلون وفى الدخول مجاز بمعنى الإتيان والتحصيل على سبيل الاستعارة التصريحية بجامع الحلول في كل والمجاز يؤكد المعنى ويقرره.

ذكر أن الصدقة ليست للمساكين فقط، وانما لغيرهم- كما ورد في الشرع- على اعتبار أن المسكنة بدل مما سبق أو أن تشمل معانى جميع ما ذكر الله سبحانه وتعالى من مستحقي الصدقة، لذا أخفى اللفظ بذلك لزيادة اختصاص

---

(١) سورة القلم ٢٣

(٢) المعجم الوجيز ص ٣٩٦ مادة " طلق"

(٣)سورة القلم ٢٤.

بالمعنى؛ وذلك لأن المسكين الذى لايسال إلا الله ﷻ ولما أراد الله –سبحانه– أن يحفظ على الفقراء كرامتهم عبر عن ذلك بلفظ يناسب حفظ كرامتهم.

وعبر بـ " وغدو على حرد قادرين" [1] فأتى بالواو التى وصلت بين الآية السابقة وهذه الآية لإتمام المعنى؛ وذلك لأن الله سبحانه يقص ما حدث لأصحاب الجنة وأتى بالواو لانقطاع الآية الأولى عن الثانية، ولكن مع وجود العاطف بينهما فسمى كمال الانقطاع، ويكون ذلك وصل بالعطف بالواو خاصة دون غيرها لعلاقة بين الآيات السابقة، وهذه الآية تكملة لما سبق من القول، وعبر بـ(غدو) وأتى بـ(على) للاستعلاء "حرد " وحقيقة الحرد : العُزلة أو تأتى على معنى السرعة، وهذا المعنى أقرب فى حراث الزرع، وعلى معنى أنهم انفردوا بذلك فى التوقيت الذى فيه الحديث، وإما من التنحي، أى: التخلي عن المساكين وإما على معنى: أنهم بخلوا بما أعطاهم الله، ولئموا فى حق المساكين الذين كفلهم سبحانه وتعالى لهم، والجملة كناية عن البخل بما أعطى الله سبحانه، ويكون ذلك إما فى المال، أو فى العلم.

وفي الآية تفسير بعد إبهام وتوضيح وبيان، وقدم (غدوا) لأن العمل فى الغدو أيسر وأسرع، وأتى بالجار والمجرور (على حرد) مقدما للاختصاص، وأن هذا الحديث يؤخذ مأخذ الأهمية فى العظة والعبرة؛ لما يبدو من مصير هؤلاء! وجيء بقادرين وفى القدرة معنى الحركة والنشاط والهمة والقوة وفيه كناية عن العمل، وفى الآية استعارة تصريحية حين عبر عن القوة بالقدرة والقدرة لا تكون إلا من الله ﷻ القادر على كل شيء حذف القوة وذكر القدرة التى من معانيها القوة وزيادة على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة حالية.

(١)سورة القلم ٢٥.

ثم قال سبحانه " فلما رأوها قالوا إنا لضالون"[١] بالفاء المفيدة للترتيب والتعقيب بلا مهلة، وأتى بـ(لما) للدلالة على ما كانوا فيه من شدة الذهول وإما على معنى فلما رأوها قالوا إنا لضالون وأضمروا جملة أنهم لن يضلوا بعد ذلك على معنى الاسراع فى التوبة؛ ودليل ذلك اسراعهم فى ذكر الله وخاصة التسبيح -كما سيأتي-، وعبر بالرؤية البصرية؛ لأنها أقرب الطرق للوصول إلى المعرفة ، والهاء ضمير عائد على الجنة متصل برأوها. وذلك بحذف آلة الكلام، ودلالة القول كناية عن موصوف، وفي الكلام مجاز مرسل والعلاقة اللزوم بين اللسان والقول، وفيه استعارة مكنية؛ حيث حذف اللسان وذكر الكلام بذكر المشبة وحذف المشبه به، وفى الحديث توضيح وبيان لما حدث، وقد يكون عبر بفعل القول لإ قامة المعوج لما ظهر الحق واستقر والله اعلم.

والآية كناية عن شدة الندم ، وأتى بأسلوب الجمع الذى يدل على اثنين أو أكثر وفى الكلام توكيد وبيان لضلالهم عن الحق واتباع الشيطان ، وللضلال انواع جميعها يندرج تحت معنى فقط عدم اتباع اوامر الله عز وجل[٢] . واستخدم لفظ الضلال دون غيره لذيوع هذه الكلمة قديماً لبيان شدة الضياع وانتكاب السبيل، وأتى باللام على معنى القسم، ولم يذكر القسم، وذكر اللام على سبيل الاستعارة التصريحية فى حرف اللام وأكد ذلك باسمية الجملة وفى هذه الآية انه عمل عملاً لم يعد عليه نفعة؛ بل ذهب هباء بعدولهم عن الطريق المستقيم عمداً.

وفي قولهم: " بل نحن محروسون "[٣]العطف بـ (بل) وهو من طرق القصر بقصر الصفة على الموصوف. وتأتى بمعنى الاضراب إما لإبطال الضلال وإثبات

---

(١) سورة القلم الآية ٢٦.

(٢) المعجم المفهرس ، مادة ضل ، ص ٥١٨: ٥٢١.

(٣) سورة القلم ٢٧.

الحرمان أو الانتقال من غرض إلى آخر نحو " بل قلوبهم فى غمرة من هذا" [١] وذلك بإثبات الحكم الأول للثانى وتلاها جمع لا مفرد مراعاة لعددهم ومناسبة للفاصلة القرآنية.

وفى قوله: "فلما رأوها ... الخ" بحذف جملة (محترقة لا زرع فيها ولا ثمار) إيجاز بالقصر؛ حيث دل على معان كثيرة فى لفظ يسير من أبلغ أنواع الإيجاز، وعبر بقوله (محرومون) بالتعبير بحرمانهم الذى حرموه للمساكين، وفي الجملة إيجاز –آخر– بالحذف كما سلف، وأتى بمحرومون نكرة لتحقيرهم وأنهم عدلوا عن طريق الحق وعمل الخير الذى به النفع[٢].

وفى هذا الأسلوب بيان لحالهم من الوعيد، وفى الأسلوب حسن التقسيم البديع فى قوله" إنا ضالون و نحن محرومون" كما أن فى الأسلوب انتقال من حال إلى حال. كما أن فى قولهم الاهتمام بما حدث منهم– كما فى مناسبة أول الآية لفاصلتها، والإيضاح بعد الإبهام.

ثم كانت براعة التخلص في قوله –تعالى–: "قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون" [٣] ففيه انتقال من غرض إلى غرض آخر، ولم يظهر ذلك جلياً إلا فى حديث القرآن الكريم، يأخذ فى معنى إذ أخذ معنى اخر وجعل الاول سبباً ، فيكون بعضه اخذ رقاب بعض يوصل الكلام بلا قطع ويستأنف كلاماً آخر به مقابلة للكلام السابق ويسمى الإدماج، كما أن فيه مقابلة تحسن المعنى ويروق اللفظ، وتهدأ النفس ويظل الخير، وفي الانتقال من فن إلى فن المسمى حسن

(١) سورة المؤمنون : ٧.

(٢) الانفاق فى علوم القرآن ٢/ ١٨٦.

(٣) سورة القلم الآية ٢٨ .

التخلص[١] وفى هذا القول مقام بسط الكلام مع الأحبة بين الله ورسوله ؛ فيأتى بفعل القول قال لاستمرار القص وتطرية لنشاط السامع ﷺ

واختص أوسطهم بالكلام على معنى التوسط بينهم بالحق والعدل، على معنى التوصل لا شيء إما لأنه وسط بينهم وإما لأن المعتدل شيء وسط[٢].

وفى الحديث استعارة تصريحية؛ حيث لم يصرح باسم القائل وانما بصفته، وحذف المشبه ورمز اليه بشيء من لوازمه وذكر المشبه به. وفى الآية مجاز مرسل لعلاقة الإطلاق والتقييد. وفيه قصر القول فى هذه الآية على المعتدل فى الحق من قصر الصفة على الموصوف. " ألم" الهمزة للاستفهام، والمراد تقريرهم بالفعل، أي: بالبخل، وعبر بالقول مرة أخرى في قوله (أقل) وبين قال واقل جناس بين الماضى والمضارع بين المعنى ووضحه. وأتى ب(أقل) لأهمية المقول فيما سيأتى من حديث[٣].

و"لكم" جار ومجرور مقدم للأهمية؛ لبيان أن التسبيح من أعظم وأجل أنواع الذكر خاصة وأن هذه الآية مناسبة للحال الذى هم فيه، وموضحة الخوف من الآخرة، وفى ذلك ايمان بالله واليوم الاخر. وأن الجزاء من جنس العمل.

وأتى بـ(لولا) حرف الامتناع لوجود؛ فتدخل على الجملة الاسمية، ويكون جوابها فعلاً مقروناً باللام –إن كان مثبتاً نحو قوله تعالى: " فلولا أنه كان من المسبحين للبث" [٤]. ومجرداً منها إن كان نفياً نحو: " ولولا فضل الله عليكم

(١) المعجم المفصل فى علوم البلاغة ، البديع ، البيان ، المعانى اعداد الدكتورة انعام فوال عكاوى ، ص ٢٦٣،

(٢) السابق الجزء والصحيفة.

(٣) المعجم الوجيز مادة وسط . ص ٦٦٨.

(٤)سورة الصافات ١٤٣، ١٤٤.

ورحمته ما ذكر منكم من أحداً ابداً" [١].وإن وليها ضمير فحقه أن يكون ضمير رفع نحو " لولا أنتم لكنا مؤمنين " [٢].

وقيل: إنها بمعنى (هلا) فهى للتحضيض والعرض فى المضارع أو ما فى تأويله نحو " لولا تستغفرون الله " [٣]. "لولا تسبحون " [٤] على معنى هلا تسبحون.

وفي قوله: " تسبحون " بالفعل المضارع لاستحضار الماضى؛ أى: لولا كنتم تسبحون على معنى هلا كنتم تسبحون، وقد يكون المعنى سبحوا الله عز وجل (هلا) على معنى الآن، فأتى جواب كلام الأوسط على وجه السرعة "قالوا "وفى قولهم ألم وندم شديد لما حدث منهم، فأجابوا جميعاً "سبحان ربنا" الواجب التحميد والتسبيح والتهليل والتمجيد وأضافوا ربنا إلى سبحان على معنى التنزيه والتقديس وقد يأتى التسبيح بمعنى الدعاء[٥] ثم أتى بـ(إنا) بتوكيد الحديث وكذا "كنا"فى الماضى " ظالمين"

وفى الأسلوب إطناب يوضح المعنى ويبينه، كما فيه العظة والعبرة، وفى القول معنى الحكاية والقصة التى بها الحكمة؛ فالجملة مفسرة لما يحدث بعد .

ثم تحدث عن نتيجة ذلك، وحكم الشرع فيه، وحكموا على بعضهم البعض بالطغيان أى: مجاوزة الحد الذى بينه الله ﷻ فى ذلك بقولهم " قالوا يا ولينا انا كنا طاغين"[٦] استعمل أسلوب القول بلفظ الجمع لحرصهم جميعا من البداية على

---

(١)سورة النور ١٠.

(٢)سورة سبا ٣١.

(٣)سورة الصافات ٣٧.

(٤)سورة يونس ٥٨

(٥) المعجم الوجيز ، مادة .

(٦) سورة القلم الآية ٣١

على منع الخير الذى وضحه سبحانه، وفى الحديث فعل وفاعل ومفعول بتوفر الأدلة التى دفعتهم لذلك؛ فعصوا أمر الله سبحانه بعدم إعطاء حق المساكين- الذى كفله الله لهم، ثم جاءا بلفظ (يا) واستعماله هنا لاختصاصه بنداء القريب والبعيد، وقيل: النداء البعيد حتى لو كان فى كل وقت إلا أنه سبحانه – يقرب بما يرضيه من فعل ما أمر سبحانه والنهى عما نهى، وقد يكون على معنى: يا الله ارحمنا إنا كنا ظالمين، ولم يذكر لفظ الجلالة لدلالة الحديث عليه ففيه إيجاز بالقصر إذ ليس معقولاً أن ينادوا الويل ، وجاءت (يا) للتنبيه على أنهم ضالين ، وفى الكلام التضمين الحسن للنتيجة التى وصلوا إليها من معصية وخروج عن الطاعة، وفى الحديث استيعاب لمضمون وسوسة الشيطان وأن الله عليم بكل شيء، وأتى بالويل فى الحديث لبيان الخوف من سوء العاقبة، ومن خوفهم من العذاب ، وفيه من خوفهم من الشر وبيان لشدة الهم وتحسرهم، وأن العذاب لا محالة واقع بهم غير مردود .

وأكد طغيانهم -مع علمهم بما سيحدث- بتقرير ذلك منهم، وأتى بالفعل الماضى (كنا) يدل على استحضار الصورة الماضية، وأتى بقوله (ظالمين) لعقاب الظالمين بما سبق فى معنى الكلمة، فيكون ذلك غاية فى العذاب ، وأن الهداية تتنافى مع الظلم، لذا خافوا و" قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين" ثم بعد ذلك قالوا :" إنا كنا طاغين" لشدة ما فى الظلم والطغيان عن العذاب الأليم.

ثم أتوا بلفظ فيه معنى الترجى من الله وحده لا شريك له- ألا وهو لفظ " عسى " فأتى بالجملة الفعلية وقبلها عسى الفعل يدل على الترجى لما استعمل أسلوب الوعيد فى ظلمهم وطغيانهم ومجاوزة الحد جاءوا بلفظ يناسب ما سبق وهو(عسى) يترجون من الله عز وجل الواسع الرحمة العليم بما فى الانسان من الجهر والسر وأخفى أن يتقبل منهم برجاء أن يبدلهم خيرا من جنتهم ، وذكر بعد (عسى)(ربنا) تشريفاً وتعظيماً وتشريفا، وجاء فى لفظ (ربنا) بضمير المتكلم

استشعارا بتوحيد الله ﷻ وإن كانوا خاطئين ، وفى هذا الأسلوب التفات لتجديد نشاط السماع، واستعادة لصحو الذهن، وسماع الأوامر من محكم ومتشابه، وفيه تنبيه على إيمانهم باليوم الآخر .

كما فى المعنى صدق التوبة وحب للعمل الصالح والاعتدال فى الأمور. ثم أتى بـ(أَنْ) المخففة من الثقيلة للتوصل لمعنى الجملة وأتى بلفظ " يبدلنا " فى قوله سبحانه " عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون" [1] للدلالة على رجاء قبول الله التوبة منهم وحرصا على مرضاته –سبحانه. وفي لفظ راغبون رغبة على معنى الاخلاص فى العبادة والصدق فى الطاعة .وفى الآية توسع ، وبسط فى الحديث. والعود إلى النفس بالتفكير السليم والقلب السليم .

وفى قوله –سبحانه–: " كذلك العذاب ولعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون"[2]. أتى بلفظ (كذلك) بكاف التشبيه لتشبيه ما فعلوه –من عدم طاعة أوامره سبحانه– بتشبيه عذابهم على قدر عملهم، ثم وضح بأن التشبيه وزيادة عليه أن عذاب الآخرة أكثر من ذلك كله، وفيه كناية عن العذاب الواقع بهم فى لفظ (أكبر) وهو أفعل تفضيل ،كما أن النعيم أكبر من ذلك كله، كذلك العذاب أكبر من ذلك كله. فجمع بين الكاف واسم الاشارة (ذلك) لتمييز الكلام أكمل تمييز ؛ لأن فى اسم الاشارة تحديداً ظاهراً وتمييزاً كاشفاً يمنح الكلام مزيداً من القوة وتقريره واضحاً جلياً .

وكرر كلمة العذاب مرة بالتعريف وأخرى باسمية الجملة للتقرير. وفيه بيان أن ما فعل فى الدنيا مقدمة للآخرة، وذلك بالتصريح بلفظ الاخرة، ووضح بأن " عذاب الاخرة أكبر " أى: من ذلك كله. ثم أتى بـ(لو) أى: يحدث ذلك منذ

---

(١)سورة القلم ٣٢ .

(٢)سورة القلم ٣٣.

الماضى وعرفهم به حتى يعلموا ما يلاقوا وما ينتظرهم فى ذلك من عدم إخراج الصدقات- كما أمر -سبحانه وتعالى- فينصرف إلى لو المضارع. وأتى ب(كانوا) بلفظ الجمع أى يحدث ذلك لجميع من هذه حاله فى الماضى والمضارع؛ ليحذر من ذلك فى المستقبل. فتأتى (كانوا) للدوام والاستمرار أى فى العصيان لم يزل كذلك من البعض وللتأكيد على أن تعاليمه لا تختلف من دين إلى دين، ومن زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان. وعبر بالعلم فى قوله سبحانه: " لو كانوا يعلمون " بالمضارع أى: لو يعلمون أن لله عبادا- لا يعلمهم الا هو- عقلاء يعلمون ما يفعلون بأمر الله سبحانه- فلابد من سماع ما يقولون، وحدث ذلك منهم- إما لقلة عقولهم -وذلك باتباع الشياطين والطمع فى الدنيا .

المبحث الرابع: الأسرار البلاغية في الحديث عن الآخرة وأهوالها شدائها وما أعد للمسلمين والكفار

ثم انتقل الحديث من كلام عن أصحاب الجنة وعقابهم إلى كلام جديد تماماً هو أحوال المؤمنين والأخرين في الأخرة وبيان أهوالها فقال- سبحانه-: " إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم" [١]. ف(إن) حرف توكيد لمضمون معنى آخر لفئة أخرى من الناس يوضح تقواهم -سبحانه- وأتى باللام الابتدائية لوصل الكلام وبسطه، ثم بـ (عند) ظرف المكان فى القرب والحضور وذلك بالحديث عن منزلة المتقين ومآلهم عند الله سبحانه. وخص الجنات بالنعيم ؛ لأنها مكانه وهي من النعم. وفى الآية كناية عن دخول الجنة . بدأت الآية بالجملة الاسمية لتأكيد مضمونها، وقدم المتقين للأهمية التى تفيد التخصيص، وأتى بلفظ جنات بالجمع لأهمية الجنات وعظم ما فيها من نعيم.

ثم انتقل بالحديث من المتقين وجنات النعيم إلى عدم مساواة المجرمين بالمتقين فى قوله سبحانه" " أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، ما لكم كيف تحكمون" [٢] أتى بالحكمة التى تفيد الإنكار والتوبيخ ليقرر حالهم، وما هم عليه من العناد، فهل يصدق أو يتصور أن يجعل المسلمين كالمجرمين، وفى هذا الأسلوب الوعيد لكل من يساوى بينهما والاخبار بعدم مساواة المسلمين بالمجرمين.

ثم أتى بالجعل وهو أعم من (فعل وصنع) فهو لفظ عام فى الافعال كلها أتى هنا على معنى: أوجد هكذا كقول سبحانه:" جعل الظلمات والنور " [٣].

---

(١)سورة القلم ٣٤.

(٢)سورة القلم ٣٥ ، ٣٦.

(٣)سورة الانعام.الآية ١

وبين المسلمين والمجرمين طباق بين المعنى أحسن بيان. وأتت الكاف لضرب المثل .

ثم أتى بـ " ما" " لكم" التعجبية ولكم جار ومجرور خبر مقدم كيف تحكمون مبتدأ مؤخر وذلك لأهمية التعجب فى هذا المقام، فهذه الآية توضح حكم من يساوى بين المسلمين والمجرمين بأن الذى يفعل ذلك لا يحكم ولا يصح أن يكون حاكماً ولا يستقضى فى شيء يخص المسلمين. وفى الآية كناية عن شدة التأكيد فى ذلك. وأتى بالفعل المضارع تنبيهاً على أن ذلك يحدث فى كل زمان ومكان فى كل وقت وحين. ثم استأنف حديثا يتبع هذا الحديث جديداً فى معناه ولفظه بـ (أم) وتأتى لتعيين جنس الكلام ومضمون الحكم؛ لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الاخر ولا تفيد تسوية . وفي الآية الإنكار والتوبيخ .

وفي قوله: " لكم " جار ومجرور خبر مقدم لأهمية ما قبله فى العمل بالدين و(كتاب) مبتدأ مؤخر (فيه) جار ومجرور مقدم هو عليه لكم و(تدرسون) فعل مضارع يدل على حدوث شيء فى زمن التكلم أو بعده فى الحاضر أو المستقبل من درس على معنى المعنى؛ فيكون الكلام: إن القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية ولا كتاب بعده.

وفي قوله سبحانه: " ما لكم كيف تحكمون " بيان وتوضيح لنوعية الاحكام التى يقوم المسلمون دون ان يدركوا خطورة ذلك على الحاكم والمحكوم وان ذلك يؤدى إلى المهالك والسوء مما الله به أعلم. وفى قوله (تحكمون) دليل لما حدث فى وقت نزول القرآن الكريم؛ لذا جيء بيحكمون ثم تدرسون وبين الحكم والدراسة ترادف إذ لا يمكن أن يحكم فى شيء إلا المتخصص فى ذلك .

ثم أتى (إنّ) حرف توكيد ونصب لتقرير الجمل المترادفة المتتالية فى قوله :" إن لكم فيه لما تخيرون " وفى هذه الآية لم يذكر كلمة (كتاب) بعود الكلام على

متقدم لفظاً ورتبة؛ ولم يذكر لدلالة ما سبق عليه، ثم أتى (لما) بالفتح (تخيرون) من الانتقاء والاصطفاء، والمعنى: هل فوض لكم الله ﷻ الاختيار فى الكتب أم شرفكم باختياره هو -سبحانه-.

قال تعالى: " أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون"[1]. (أم) وقد كررت فى الآيات، وفى كل مرة تأتى لغرض يختلف عن الآخر، ولمعنى يتلائم مع المراد من الآية التى ترد فيها، ولا يحل غيرها محلها، فجاء سبحانه بـ(أم) لتوكيد المعنى وتقريره فى الذهن وتقوية داعى الحديث، وقدم (لكم) لقصر الكلام وإيجازه وب(علي) للاستعلاء - والمتحدث أعظم من كل عظيم- ولا يناسبه إلا الاستعلاء، وبإضافة االضمير (نا) إلى (على) بالجمع للتعظيم والاجلال ، ثم قال " أيمان " من (ايم الله) جيء على طريقة الجمع ليشمل جميع الأيمان بالفتح الذى يفيد الوصل، والكلمة على معنى القسم، وعلى معنى المبايعة، خاصة وأن الدين كان فى بدايته، والدعوة فى البداية تكون أصعب وأشد؛ فيخاطب الناس: أم لكم قسم ليس ككل قسم به عهد ويقين وميثاق وصدق واخلاص أم أنكم كان لكم مبايعة مع رسول الله ﷺ وأضاف بالغة إلى أيمان مبالغة فى إيصال المعنى المقصود من الحديث .

وقد ذكر لفظ بالغة فى الحجة البالغة ، وفى الحكمة البالغة، وكما ذكر فى السورة فى الايمان؛ فهذا اللفظ ويحمل فى معنى شريف ولفظ شريف ذكر ثلاث مرات فى القرآن الكريم لما له من خصوصية وأهمية ويقين . وقوله :" إلى يوم القيامة" للوصول بالأيمان البالغة إلى يوم القيامة جار ومجرور وقدم الأيمان للأهمية ولتقرير وتخصيص الحديث. وجيء بلفظها نكرة للتعظيم . وأضاف (القيامة) إلى (اليوم) لتيقن الحدث وثباته. وذكر (لما تحكمون) فى الأيمان

(١) سورة القلم ٣٩.

البالغة إلى يوم القيامة، بأن الحكم أن المسلمين لا يتساوون بالمجرمين، وكذا الأيمان البالغة لما فيها من تعظيم واجلال .

ثم يأتى بأسلوب فيه معنى الأمر لرسول الله ﷺ بسؤال المشركين على معنى التوبيخ لهم ، وأتى بلفظ " سلهم أيهم بذلك زعيم" [١] أى: يا محمد، عليه الصلاة والسلام فعدل من الخطاب إلى الغائب وأتى بالأمر ليفيد الطاعة والعبادة.

وحض (الزعيم) فى الحديث من الزعم –ويستعمل كثيرا في الباطل– أى: ظن واعتقد الزعامة على القوم، وقد تكون على معنى: أيهم ساد وباس فهو زعيم – هل يضمن الزعيم وصولهم إلى يوم القيامة –بالحكم الذى يحكم– أن يكونوا مؤمنين مباركين، وفى ذلك دلالة قوية على أن الملك للمالك وحده لا شريك له.

قوله سبحانه :" أم لهم شركاء فيأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين" [٢]. أتى ب(أم) التي تكررت من قبل للوعيد ، وقدم (لهم) لأهمية المقدم فى الحديث وللتخصيص، وأن الحديث يخصهم بالدرجة الأولى ويعنيهم.

ثم يتحدى لأن الحديث تحدٍّ صريح واضح(فليأتوا) فعل أمر ؛ وذلك لاتيان ما عندهم و(الباء) حرف جر للاستعانة بـ(شركائهم) الذين يتولون أمرهم وزعامة ذلك من دون الله وأتى ب(إن) التي للشك في صدقهم وأنه كذب محض.

وفي قوله تعالى: " يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون " [٣] يوم ظرف زمان وقد كرر فى السورة ثلاث مرات؛ للتنبيه على أهمية اليوم، ونكر اليوم مع تقديمه لتعظيم شأن ذلك اليوم، و (يكشف) مسند جاء مضارعا لاستحضار الصورة.

---

(١)سورة القلم ٤٠.

(٢)سورة القلم ٤١.

(٣)سورة القلم ٤٢.

جاء فى الآية تقييد الفعل يكشف بحرف الجر " عن" والذي من أشهر معانيه المجاوزة للدلاة عن شدة الأمر وهوله، ويصح وقوع ذلك حقيقة لفضح الكافرين وإلزامهم الحجة أمام الخلائق يوم القيامة.

وقد قرئ (يوم يكشف) و (تكشف) بالبناء للفاعل والمفعول جميعاً، والفعل للساعة أو للحال، أى: يوم تستعد الحال أو الساعة- كما تقول-: كشفت الحرب عن ساقها -على المجاز. وساق منكرة للدلالة على أمر مبهم فى الشدة ، منكر خارج، والساق: ما فوق القدم، وكشفها والتشمر عنها مثلٌ فى شدة الأمر وصعوبته حتى انه يستعمل بحيث لا يتصور ساق بوجه، والمراد: يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً .

وقيل: يجوز أن يكون العامل فى " يوم " :" فليأتوا" أى: فليأتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم، ويجوز أن ينتصب باختصار فعل أى: اذكر يوم يقال: وقت اقتراب الأمل، وضعف البدن يكشف المريض عن ساقة ليبصر ضعفه ويدعوه المؤدن إلى الصلاة فلا يمكنه ان يقوم ويخرج [1]، ما روى يكشف عن ساقه عن العظيم من امره وقيل : يكشف عن نوره عز وجل عن النبى فى قوله تعالى " عن ساق قال : يكشف عن نور عظيم يخرون له سجداً.

قوله -سبحانه-:" ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون" توبيخاً وتعنيفاً على تركهم إياه فى الدنيا وتحسيراً لهم على تفريطهم فى ذلك؛ لزوال القدرة عليه، وفيه دلالة على أنهم يقصدونه فلا يتأتى منهم، وقيل: إن يوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف.

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم تفسير القرطبى ١٨/ ١٩٢.

قولـه:" خاشـعة أبصـارهم تـرهقهم ذلـة " أى: ذليلـة متواضـعة، ونصـبها علـى الحال (ترهقهم ذلـة)، وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسـهم ووجوههم أشد بياضاً من الثلج وتسود وجوه المنافقين والكافرين[١].

يقال : لا يدعون إلى السجود (يوم القيامة) تعبداً وتكليفاً؛ ولكن توبيخاً وتعنيفاً على تركهم السجود فى الدنيا مع اعتام أصلابهم، والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيراً لهم وتنديماً على ما فرطوا حين دعوا إلى السجود وهم سالموا الأصلاب والمفاصل... تسلية لرسول الله ﷺ – وتهديداً للمكذبين[٢] ففى السورة الأولى (العلق) على تنزيل القرآن الكريم– شدد وسبحانه من البداية على أمر الصلاة وجزاء الذى ينهى عبداً إذا صلى ثم فى هذه السورة الثانية (ن والقلم) بأن الذى لا يتبع الأمر بالصلاة فله العقاب ، ويعلم بالأمر "ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون"[٣]. خاشعة ابصارهم" ذلته متواضعة ويصبر على الحال[٤] ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره[٥] فيها، ويقال: " خاشعة أبصارهم .... الخ " تقديم الحال خاضعة للتخصيص والتوكيد، وبيان المعنى فى الدار الاخرة بإجرامهم وتكبرهم فى الدنيا؛ فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دعوا إلى السجود فى الدنيا فامتنعوا مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليها فى الآخرة"[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن.

(٢) الكشاف ٤/ ١٤٧.

(٣)سورة القلم ٤٣.

(٤) الجامع لاحكام القرآن الكريم ١٨/ ١٩٣.

(٥) روح المعانى ٢٩ / ٣٦.

(٦) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٩.

يقال : يدعون بالآذان والاقامة ، وقال سعيد بنى جبير كانوا يسمعون حى على الفلاح فلا يبحيبون ، يقال نزلت هذه الآية فى الذين يتخلفون عن الجماعات[١]. كما أن فى الأسلوب الخبرى في (خاشعة أبصارهم) شدة حرص الله سبحانه على دخول عباده فى الدين الحنيف، وأن اسلوب الترهيب والتخويف من أقوى الاساليب فى الدعوى الاسلامية- حين تستدعى الدعوة ذلك. كما أن فى الأسلوب التنوع الذى فيه اشتياق لمعرفة المزيد مما يحدث ليكون له أثر فى الامتثال لحديثه سبحانه، كما أن فى الوصف دقة وبيان لكل ما يلاقية الإنسان من يوم القيامة، وعبر بالأبصار والمراد الجسد جميعه لشدة الهول وعظم الخطب بحديث الله عز وجل للناس؛ ولأن يوم القيامة الحال والشان يدلان على ذلك من شدة الخطر، وفى الآية مجاز والعلاقة الآلية الة البصر أو الحالية ، كما أن فى الحديث استعارة مكنية ذكر فيهاالمشبه وحذف المشبه به، والبصر كان عنه مسئولا سبحانه فى الخبر الذى ذكر " خاشعة أبصارهم" فإن المخاطب خالى الذهن عن الحكم وليس متردداً ولا منكراً فأتى الحديث بدون تأكيد "لأن الكلام يتمكن سهولة إذا صار ذهناً خالياً وهذا من الضرب الابتدائى" [٢]، لأن المخاطب خالى الذهن من الحكم ومن التردد فيه " ترهقهم ذلة" كرر كلمة ذلة مرة بالمعنى فى قوله (خاشعة) ومرة باللفظ في قوله (ذلة) ففى الكلام اللفظ مختلف والمعنى متحد من محسنات الحديث ويسمى الارداف، وعبر بـ (الإرهاق) مع الأبصار وذلك للعلم بذلك الشيء والاهتداء بالبصر أقوى وأتم .وفى الحديث كلمات من واد واحد تدعو الانسان للتفكر والتدبر فى الدين وتحثه على الخوف من الله ﷻ والامتثال لأوامر الدين بما امر سبحانه ووضح وبين.

(١) الجامع لاحكام القرآن الكريم ١٨/ ١٩٣.

(٢) فن البلاغة ص ٨٤ ، د/ عبد القادر حسين مؤسسة الرسالة.

وأتى بالواو لوصل الجملة ببعضها، ولتحقيق اللفظ والمعنى ب(قد) كانوا وجيئ بالفعل المضارع (يدعون) للاستمرار وشمول الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وأتى بالواو حتى لا يحدث لبس فى الحديث، و المضارع أسبق رتبة فى النفس من الماضى ولإرادة التوكيد[١].و (إلى السجود) جار ومجرور متعلق بيدعون لأهمية السجود وعظم شأنه لأنه أقرب ما بين العبد وربه، وأتى بالضمير فى قوله سبحانه-: " وهم" للاختصار ولابد له من مرجع يعود اليه سواء ملفوظاً أو متضمناً أو دالاً عليه بالالتزام أو متأخراً لفظاً لا رتبة أو رتبة فى جملة الشأن والقصة أو متأخراً دالاً بالالتزام يدل عليه السياق يعود إلى أقرب مذكور، وهنا الضمير خصص به من لا يسجد من قصر الصفة على الموصوف . وجاء هنا الضمير مرفوعا مطابقا لما قبله تكلماً وخطاباً وغائباً إفراداً وجمعاً يقع بعد خبر بعد الفعل المضارع؛ لبيان أن ما بعده تكملة للجملة، وللتوكيد الذى يفيد التقرير دعامة للحديث يقوى ويؤكد والاختصاص بالحديث ولإفادة أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره[٢].

ثم أتى بقيلة سبحانه " سالمون" جمع مذكر سالما كناية عن الحسرة والندم وسوء الحال؛ وذلك لأهميته فى الركوع والسجود.

قوله-تعالى-: "فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" [٣]. فذرنى ، " ومن يكذب " من مفعول معه أو معطوف على ضمير المتكلم "بهذا الحديث" القرآن ويقال: يوم القيامة " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" على غفلة وهم لا يعرفون، فعذبوا يوم بدر، ويقال: نسبغ عليهم الفهم

---

(١) اثر النحاه فى البحث البلاغى د/ عبد القادر حسين – ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة.

(٢) الاتقان فى علوم القرآن ٢/ ٢٨١: ٢٨٦.

(٣) القواعد الاساسية للنحو والصرف ص ٢٩ ، ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩ م.

وننسيهم الشكر ، فكم مستدرج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه، وكم مغرور بالستر عليه ويقال فى قوله- سبحانه: " سنستدرجهم " استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الكلام السابق إجمالاً والضمير لمن يكذب والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد باعتبار اللفظ. " ويقال : وهم لا يعلمون، وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو فى نفس الامر إهانة؛ وبهذا قال هنا " وأملى لهم إن كيدى متين" [١] أى: وأوخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدى ومكرى بهم.

ثم جاء بـ (ذرني) بعد فاء الترتيب والتعقيب للدلالة على سرعة مكر الله بهم -على معنى ترك من لا يؤمن بالله. فتأتى الكلمة لمعنيين الترك والحفظ، وفى كلا الأحوال فيه وعيد ووعد من أجمل انواع البيان وأتى بالياء الدالة على قوة المتكلم وكمال حكمته، ثم أتى بالواو لربط الجملة بالوصل حيث جاءت اسماً على معنى أن من يسمع هذا الحديث ويكذب به " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" ومن يسمع الحديث ويخاف الله عز وجل. " إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً" [٢]. "ففى الحديث إيجاز بالقصر ثم أتى بالفعل المضارع لابراز الفعل فى صورة المضارع الحاضر المستمر المفيد فى استحضار الصورة وتمثلها، ويقدر فعلاً ماضياً على غرار الفعل السابق حتى يستقيم الكلام وتتماثل الافعال[٣] وذلك لتوضيح مدى ارادة الله عز وجل – سبحانه- ثم أتى بالباء التى من معانيها الالصاق، وجاء سبحانه اسم الإشارة (هذا) لتمييز الحديث وهو القرآن – أكمل تمييز -كما أنه لتمييز المؤمن المسلم أكمل تمييز؛ وذلك لأن اسم الاشارة يحدد المراد منه تحديداً ظاهراً، ويميزه تمييز كاشفاً، وهذا التحديد قد يكون

---

(١)سورة القلم ٤٥.

(٢)سورة الكهف ٣٠.

(٣) اثر النجاه فى البحث البلاغى د/ عبد القادر حسين ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

مهماً للمتكلم؛ لأنه حين يكون معينا بالحكم على المسند إليه بخبر ما ، فإن ضمير المسند اليه يمنح الخبر مزيداً من القوة والتقرب ففى الكلام صدق التعبير وقوة التاثير وأن القرآن الكريم بالمكانة المكينة والرفعة العظيمة.

قوله:" وأملى لهم ان كيدى متين "[١] أملى الله لهم عيشهم وعمرهم: أطاله، وجاء مضارعا للدلالة على أن هذه سنة الله في المكر بالكافرين والظالمين وديمومتها. وفى إضافة متين إلى الكيد الدلالة القوية على الشدة والبأس. وفى قوله " أملى" اختصاص يفيد التوكيد والتقرير وأن ذلك لا يكون إلا منه وحده لا شريك له وفيه معنى الوقار والوعيد والتهديد والتوبيخ وان ذلك مما لا يشك فيه . ثم جاء بقوله: "لهم " فالحديث ملفوظاً أو متضمناً دالاً على معنى الآية؛ فقد أخره عن فعل الأمر (أملى) من الإنشاء، ويكون الحديث من الأعلى إلى الأقل رتبة ودرجة ثم يكون من الأعلى للناس أجمعين لدلالة أن الاملاء من الله وحده ، والضمير يعود على ما تقدم من حديث وقد اتصل الضمير باللام مفتوحة[٢] مع المضمر. ثم ختمت الفاصلة بجملة مؤكدة غاية التأكيد بـ إن واسمية الجملة في قوله: " إن كيدى متين " .

و" الكيد " من أصعب أنواع العذاب، بمعنى شدة المكر والسوء لمن يمكر به، ومن معانى الكيد الخفية فى الايذاء، ومن الله تدبير الأمور لمجازاة أو الابتلاء فمن الذى يتحمل "كيدى متين" والله المستعان

قوله: " أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون" [٣]. أتى بـ(أم) متصلة تربط ما قبلها بما بعدها، وقد تأتى منقطعة بحكم جديد عما قبلها من أحكام وما بعدها من حديث على معنى الاضراب، وذلك لأن فى الحديث إنكارا أن يحدث منهم ذلك،

---

(١)سورة القلم : ٤٥

(٢)سورة الانشقاق ٢/ ٢٨٤ ، ٢٢٤ .

(٣)سورة القلم ٤١.

كما أن فى الحديث[1] التوبيخ؛ وذلك لحصول العلم المفاد من السور بدءا من سورة العلق ثم بعد ذلك القلم؛ فيكون الحديث مقرراً للمعنى وما جيء فيه من توكيد لإثبات ذلك.

(1) الاتقان فى علوم القرآن ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥.

المبحث الرابع: الأسرار البلاغية في الحديث عن تسلية النبي ومواساته بالصبر

انتقلت الآيات من الحديث عن الآخرة وشدائدها وأمر المسلمين والكافرين فيها إلى مواساة النبي ﷺ وأمره بالصبر على ما سيجد من عنت ومشقة في هداية الناس.

فجاء قوله –تعالى–: " فاصبر" بفاء التعقيب للأمر بالصبر بلا مهلة وعلى المطلوب منه ﷺ ذلك الصبر لحكم الله ؛ وأتى باللام للتوكيد على ذلك ولأهمية الصبر فى الأمور التى تتعلق بالدين خاصة دون غيره، وفى قوله "حكم "تستشعر بخطر هذه الكلمة، بإضافة الحكم إلى" ربك" للتشريف وللالتفات من الغائب إلى المخاطب تطرية لنشاط ذهن السامع؛ ولاصغائه لأمر مهم، ثم أتى بالواو لربط الآية و(لا الناهية) والأمر من الأعلى للاقل درجة من الانشاء ، ثم جاء " تكن" التاء للمضارعة لاستحضار الصورة في ذهن المصطفي عليه الصلاة والسلام، والمراد به الطاعة للأمر والعمل به وفى الأمر الخصوصية فى هذه الآية وذلك الخطاب لسيدنا رسول الله ﷺ– ذلك لتصريحة بالمثل " صاحب الحوت" سيدنا يونس عليه السلام، وعبر بالكاف للتشبيه حيث شبه رسول الله ﷺ وما يمر به من ابتلاء من قومه بسيدنا يونس الذى "نادى" الله عز وجل "وهو مكظومز

وتأتى (إذ) اسماً للزمن الماضى ، وهو الغالب– ويقال: لا تكون إلا ظرفاً أو مضافاً إليها ، ويقال تكون تنزيلاً المستقبل منزلة الماضى وذلك للتنبية من أول الأمر حتى لا يتكرر ما حدث لسيدنا يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

" إذ نادى وهو مكظوم " وفى النداء إقبال المخاطب بقلبه، وللدلالة على صدق المتكلم[1] جاء بـ (إذ) نادى فى بطن الحوت " وهو مكظوم" مملوء غيظاً من قومه إذ لم يؤمنوا لما دعاهم للإيمان ومن استعماله بهذا المعنى:

وأنت من حب في مضمر حزنا عانى الفؤاد قريح القلب مكظوم

والجملة حال من ضمير (نادى) وعليها يدور النهى، وعلى النداء فإنه امر مستحسن ولذا لم يذكر المنادى إذ منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله وقت ندائه لا يوجد منك ما منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى بنحو بلائه -عليه السلام[2]. وأن الصبر فى غاية الأهمية فى بعض المواقف التى يرى ويعلم منها الله بان الصبر لهم ، والصبر من أعلى درجات الرضا بقضاء الله وقدره " لحكم" ولم يقل (على) وذلك لأن الأمر من الله عز وجل لمن يهمه الأمر والاخرين، واللام تشتمل على الملك والاستحقاق والاختصاص كما أتى بكاف الخطاب ضميرا متصلا يعود على المخاطب وفى الآية دلالة عليه، وذلك الخطاب لخاتم المرسلين والنبيين ﷺ شرحاً لصدره وصبراً على الاذى لقوله سبحانه " ولا تكن" يوضح سبحانه ما يجب ان يكون عليه الرسل والانبياء كما اراد الله لهم من حسن الخلق والمعاملة ؛ فأتى بالواو لعطف ما بعدها على ما قبلها توصلاً للمراد من الآية وجيء بـ "تكن" فعلا مضارعا للدلالة على استمرار الأمر بالصبر وأن هذا الحكم للنبي ﷺ ولأمته من بعده.

وقوله:" كصاحب " الكاف تأتى للتشبيه لفظاً أو تقديراً وذلك التقدير على معنى: كمثل صاحب الحوت، ووجه الشبه شده المعاناة فى تبليغ رسالات الله ﷻ إلى الاقوام، وتكذيب الاقوام للمرسلين والانبياء، وبين هذا أو ذاك تظل المعاناة

---

(١) الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة تضيف محمد بن على بن محمد تحقيق الاستاذ عبد القادر حسين ص ١٠٣ ، مكتبة الاداب.

(٢) روح المعانى ، ٢٩ ، ٣٦.

والجهد، يأخذ مداه ما بين هادى لله عز وجل بأمره ومهتدى بأمره إلى ان جاء خاتم المرسلين والنبيين وثانى سورة فى التنزيل بأمره سبحانه وصية الله له بالصبر، ولا يكون مثل "صاحب الحوت" سيدنا يونس، فتشبيه حال سيدنا يونس مع قومه وحال سيدي رسول الله مع قومه من تشبيه حال نبى بحال نبى فى الدعوة إلى الله وهذا من التشبيه المرسل المجمل الذى ذكرت فيه أداه التشبيه والمشبه والمشبه به .

عبر بصاحب الحوت لتسمية الشيء باسم مجاوره لمكوثه فيه وقتا يعلمه الله ﷻ فهو مجاز مرسل والعلاقة المجاورة . "نادى ربه " بإضافة رب للنداء مع الضمير المتصل؛ وذلك للاستعانة والاستغاثة به سبحانه. ولم يكن النداء عادياً وإنما " وهو مكظوم" أتى بالواو والضمير المنفصل هو اسم اشارة للمذكر مكظوم من صيغة المفعول بيانا لشدة المعاناة التى يعانيها الانبياء والمرسلين مع القوم والمكظوم الممسك عما فى نفسه عند الغضب شامخاً.

وقد قدمت لولا للأهمية في قوله- سبحانه-:" لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم" [١] وتداركه بالفعل المضارع المبدوء بالتاء، ولم يقل: أدركته نعمة لأنها أبلغ فى التعبير عن المقصود بأوجز لفظ وأسرع فى أداء المعنى المراد، وأدق فى اللغة واستعملاتها، وأوضح فى اللفظ وأخف فى النطق بلا عسر فى الكلام، وأبين فى اداء المعنى بابلغ لفظ قال " نعمة " ولم يقل آلاء كما ذكر فى سورة الرحمن" فبأى آلاء ربكما تكذبان" [٢]؛ لأن التسبيح نعمة من نعم الله على عباده من أجل وأعظم النعم لإله أعظم من كل عظيم؛ ولأنه خصوصية فى الاكرام من الله سبحانه، فمناسبة قوله : (نعمة) أى: فى إنقاذه مما كان منتظره، فرحمه الله رحمة واسعة، وقدم "من ربه" للأهمية التى تفيد

(١)سورة القلم ٤٩.

(٢) ذكرت احدى وثلاثين مرة فى سورة الرحمن.

الاختصاص بالرحمة منه ﷻ وحده ، ثم أتى باللام الابتدائية للتوكيد والتقرير (نبذ بالعراء) أى: طرح وترك وفورق من الله عز وجل[١] فغمره الله برحمته ولم يتركه ملتبساً بالعراء أو ملتصقاً بالعراء (وهو مذموم) جملة حالية، والحال يؤتى به للتوكيد والتقرير وتقوية المعنى وفيه الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بذكره مبهماً أولاً ثم يفسر ، وفيه تخصيص بعد تعميم. وخصص سيدنا يونس عليه السلام أى: لم يستثن الانبياء والمرسلين من ذلك " لولا ان تداركه نعمة من ربه .... " كما أن فى ذلك حكاية من قصص القرآن الكريم يعمل بها وإلى يوم الدين عظة وعبرة للناس اجمعين.

قوله:" فاجتباه ربه فجعله من الصالحين" [٢]. الفاء للترتيب والتعقيب بلا مهلة وأتى باجتبى فعلا ماضيا جعله مصلياً[٣] وعلى معنى اختاره واصطفاه لنفسه.

والتعبير بقوله –تعالى–: " ربه" فى موضع المباهاة؛ وأن له الأجر كله علانيته وسره، وفيه تنبيه على ان تعليم الانبياء والمرسلين من الله عز وجل وحده .

قوله: " فجعله من الصالحين" عبر بجعل لتحقيق وقوع الفعل الماضى، وفيه تشبيه حال الصالحين بعضهم ببعض بما هم فيه من الهداية والتقوى والايمان والإخلاص لله ﷻ واتباع اوامره – والأسلوب كناية عن الصلاح فى الامر، وفى الآية الترادف فى قوله (اجتباه ...من الصالحين). وفيه بيان لقدرة الله عز وجل بالحجة البالغة.

---

(١) المعجم الوجيز مادة نبذ لى ٥٩٩.

(٢) القلم ٥٠ ، طه ١٢٢، النحل ١٢١.

(٣) اساس البلاغة الزمخشرى ، مادة ص ١٠٧ ، ١٩٦٠ م.

قوله- تعالى-: " وإن يكاد الذين كفروا ليزلفونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون" [١]. أتى بالواو لربط الجملة السابقة، وبيان مدى صلتها بالجملة التى تليها، ويكون ذلك على معنى جعله سبحانه من الصالحين، ولكن فئة من الخلق- وهم الجن- يحسدونه على ذلك. ففى الإتيان بالواو، والتنبيه على أمر له أهميته، وأن يؤخذ فى الاعتبار؛ لأن فى تركه ضررا شديدا، ولينبهه على أهمية قراءة القرآن والصلاة والتسبيح والصبر على ذلك حينئذ " فاجتباه ربه فجعله من الصالحين". ثم أتى بـ (إن) مخففه من الثقيلة نافية تدخل على الاسمية والفعلية ولا تقع إلا وبعدها إلا أو لما المشددة، فدخلت على الفعل الماضى كقول: " وإن يكاد الذين كفروا ... الخ " وفيها الإخبار عن ما سيحدث فى المستقبل من الجن ليعلم ﷺ بذلك و(يكاد) فعل مضارع يأتى منه الماضى والمضارع فقط ومعناها يقارب واثباتها اثبات للمقاربة واستقر اثباتها ونفيها[٢]، وفيه كناية عن عدم الايمان حين يكون النظر فى غير موضعه، وفيه معنى ان زلق البصر ينتج عنه زلق القدم احياناً، وقد يكون الحسد فى المكان والزمان والاشياء وفى كل شيء امتن الله به على الانسان فيجب على الانسان أن يهيئ نفسه لذلك – يقال: إن هى المخففة واللام دليلها؛ لأنها لا تدخل بعد النافية ولذا تسمى الفارقة على عرف عند النحاه والمعنى أنهم لشدة عدواتهم ينظرون اليك شزراً بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر إلى نظراً يكاد يصرعنى او يكاد يأكلنى أى لو أمكنه بنظر الصريح أو الأكل لفعله وجعل مبالغة فى عداوتهم حتى كأنها ترق عن القلب والجوارح إلى النظر فعاد يعمل عمل الجوارح

(١)سورة القلم ٥١.

(٢) الاتقان فى علوم القران ٢/ ٥/ ٢.

" ويقولون انه لمجنون". أى: إذا رأوك تقرا القرآن ، بالمضارع حكاية لحال المشركين، وعود إلى تثبيت رسالة النبي الذي هو الغرض الأساس كما أسلفت بنفي الجنون عنه ﷺ.

قيل: بدء الآية "وإن" جاء بالواو فصلت آية " اجتباه ربه " وبين " وإن يكاد " ذلك لعدم وجود الجامع بين لفظ ومعنى الجملة الاولى والثانية إلا بالتضاد؛ وذلك لأن معنى ولفظ الآية السابقة مخالف للفظ ومعنى هذه الآية واختصهم بـ(ليزلقونك) بابصارهم فيه دلالة على حرصهم على الايذاء بما لا يترك مجالاً لك فى ذلك والله اعلم .

وقوله:"وإن يكاد كفروا ليزلفونك. كناية عن تشتت النظر وانه فى ذلك اليوم يكون غير ثابت على شيء معين وانما لا يكون على هوية فيظهر فيه الارتباك والخوف والترقب والرعشة والندم وأن الايمان من أعظم نعم الله على عباده، جمع الزلق والابصار لمناسبة ذلك اليوم وانه يوم ليس كسائر الايام خف البصر لاختصاص فى الدنيا ، وانه سبحانه مسئول عنه.

وأتى بـ لما قيد الجملة بالذكر من تغيير التتميم وذلك لعظم الذكر لقيلة سبحانه "ولذكر الله أكبر" [1] ولان بالذكر الهداية والفلاح وترقيق القلوب وعمل النفس المطمئنة للمؤمن والمؤمنات المسلمين والمسلمات ويأتى الكلام على معنى لو سمعوا الذكر لتغير حالهم فالذكر يكون سبباً للإيمان بالله عز وجل فيكون الذكر شرطاً للإيمان بالله عز وجل وفى ذلك توكيد لحالهم فى ذلك اليوم وبيان لمعاناتهم واختص السمع لما له من تأثير فى القلب وذلك بعمل الفكر فى حالة الذكر. وفى الجملة التفات فيه معنى الرحمة والتوبيخ والتعريض اليس اجدر بمن لديه ذكر ان يسارع فى ذلك.

(١) سورة العنكبوت ٤٥.

قولهك" ويقولون " وذلك لهول وشدة ذلك اليوم على الجميع، فيكون فعل القول الذى بين حقيقة الزلق بقولهم رحمه للعالمين سبحانه وذلك بان والهاء واسمية الجملة وذلك أدعى لحالهم وارثى لما وصلوا اليه فيكون التفات من الخطاب للحاضر الذى لا يغيب ثم لجميع العالمين . لقوله سبحانه " وما هو الا ذكر للعالمين" [١] فما اجمل ختم السورة كبدئها بأبين وأروع حديث ؛ فيأتى بالواو لوصل الجملة بما ابتدأ به من حسن الكلام لانتهاء بحسن وابداع الحديث ولا يكون ذلك الا في القرآن الكريم وما فيه من نور يسرى فى النفوس والارواح والقلوب فيملئ الفؤاد على معنى الذى يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع والغالب استعمالها فيما لا يعلم وقد تستعمل فى العالم وفي اللفظ مراعاة للمعنى للتوكيد[٢]" وفى الآية الكريمة ضرب يجرى مجرى المثل من اعلى بيان فى القرآن، وقد استخدم القرآن الكريم المثل فى آيات عديدة بغية التذكير والعظة والحث والتقريب والتصوير والزجر وتصوير المرئى المسموع بالمحسوس فى التاثر كما ان الحكمة تصدر من كل ايه بدء من "ن والقلم "إلى "ذكر للعالمين". وفيه من الايجاز خلاصة العقل المجرب الواعى يعى ذلك ويفهمه فهذه الآية تهدى إلى العمل السديد والطريق المستقيم والشعور الصائب فى الحياة وهذه الآية من الوعظ الذى به تذكير وحكمه تنير وطول تأمل وثقة نتاج وذلك من التاريخ الصواب لمعرفة الحقائق بلا خداع ، والعمل بما فى الكتاب بمجامع القلوب والعقول والألباب لعمل الافهام واخلاص النفس والروح والوجدان فالقرآن يوضح ابين توضيح، لقد سمعوا لغة من لغتهم وجملاً من حروفهم ولكنهم لم يسمعوا قبلها مثلها فى نثر ولا فى خطبة ولا فى شعر ولا فى سجع؛ وضرب الامثال يستفاد منه امور كثيرة وخاصة أمثال القرآن الكريم التذكير ، الوعظ ،

(١) سورة القلم ٥٢.

(٢) الاتقان فى علوم القرآن ٢/ ٢٤٣ ، ٢٤٤.

الحث ، الاعتبار ، التقرير ، التقريب التوبيخ والزجر وفيكون تشبيه بالامر الجلى ليثبت المعنى وتقريره فى الذهن والعمل بالقرآن العظيم محكماً ومتشابهاً امراً وفرضاً وهدى"[1].

وقد جاء بـ (إلا) الإستثنائية لتمييز الكتاب بالذكر أكمل تمييز ولتوضيحه وتنبيه باتصال وعطف الآية اولها على اخرها ذكر وتذكره وذلك لأن الذكر أخص من الكتابة فذكر العام بلفظ هو والضمير يعود على القرآن الكريم وقد يعود على رب العالمين و رسول الله ﷺ ويعرف ذلك من سياق الحديث فى قوله ن والقلم بأن معنى الحرف يشمل اسماء جليلة ملئ السموات والأرض وما بينهما وذلك النور المبين فى اول السورة فقد بينت ذلك ذكر العام ثم خصصه قصر الذكر على الكتاب من قصر الاسماء على لفظها، أوجز ويبين وضح فى اجمل قيل بسط فى مقام البسط وأوجز فى مقام الايجاز وضح وبين شرح مراده من كتابة بكتابة ومن اياته بآياته وفى حروفه بكلماته ومن مفرداته بجملة ومن قيلة بحديثه ومن محكمة بمتشابه الناسخ والمنسوخ ومن امره وفرضه بحكمه بالغة ولغة عظيمة .

(١) البلاغة التطبيقية دراسة وتحليل ، نصوص ادبية ٦٩ : ٧٩.

الخاتمــة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين،

وبعد هذا التطواف في سورة القلم لا يسعني أن أضع القلم إلا بعد أن أسطر بعضا مما هداني الله إليه من أسرار النظم الكريم في تلك السورة الكريمة، فقد حوت هذه السورة كثيرا من أسرار البلاغة التي احتشدت للغرض الأساس من السورة- ألا وهو بيان رسالة النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام وتثبيته، **ومن أهم هذه الأسرار** :

١- الترابط والتكامل التام بين الألفاظ ومعانيها في السورة الكريمة، وهو لا شك ثابت في كتاب الله كله- وبين سابقها ولاحقها؛ فلا يسد مسد اللفظة غيرها ، وما أخر إلا لحكمة ولا قدم إلا كذلك، فكل ناسب سياقه ومقامه وغرضه – كما لاحظنا في البحث.

٢- احتواء السورة الكريمة على عديد من الفوائد واللطائف التربوية، كرفع قيمة العلم والقلم الذي هو مصدر له، والأصل في تدوين العلوم والحكم وأخبار الأمم السابقة، والحديث عن شكر النعم وعدم كفرها، والحدب على الضعفاء والمساكين والتكافل الاجتماعي بين الناس، والحث على الصبر في مواجهة الشدائد، وغيرها من الثمرات التربوية الكافلة لنجاح الأمم وتعمير الأرض.

٣- استيلاء الجمل الاسمية وأساليب التوكيد بالقصر وباسمية الجمل وكثرة التعبير بـ (إنّ) والتقديم على هذا المحور؛ لأن عليه مدار السورة-كما أسلفت، فقد احتشدت كل هذه الأنماط البلاغية لتأكيد نبوة الرسول ومكانته عند ربه وأنه في قمة الهرم للأخلاق القويمة والسلوك الرفيع.

٤- اشتمال سورة القلم على اللطائف والأسرار البلاغية موزعة على علوم البلاغة الثلاثة ، فنجد من علم المعاني – على سبيل المثال: حذف المفعول في قوله تعالى"فستبصر ويبصرون" وقوله:"ودوا لو تدهن فيدهنون" والتقديم والقسم في قوله:"والقلم وما يسطرون" وإيثار التعبير بالجملة الإسمية والتأكيد كثيرا بـ (إن) وباسمية الجملة- ولا سيما في قصة أصحاب الجنة-كما في قوله:"وإنك لعلى خلق عظيم" وقوله :"إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة..." "قالوا إنا لضالون" وقوله "قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين" "قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين" "....إنا إلى ربنا راغبون" وإيجاز القصر –وقد تعدد وروده بصورة ملحوظة توخيا للإيجاز خشية ملل المتلقي وتويلا على ذكاء السامع وتعجلا للمسرة- كما في قوله:"بل نحن محرومون"وقوله "... يا ويلنا إنا كنا طاغين" وقوله "فلما رأوها قالوا إنا لضالون" والفصل بين قوله تعالى :"سنسمه على الخرطوم" وقوله:"إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة...." وبين قوله "بل نحن محرومون" وقوله :"قال أوسطهم ...." وبين قوله :"عسر ربنا أن يبدلنا خيرا منها" وقوله:"إنا إلى ربنا راغبون" وبين قوله :"كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون" وقوله:"إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم" والإطناب بالتكرار في قوله:"كذلك العذاب ولعذاب.... " وقوله :"إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" والقصر في قوله :"إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم" وقوله "وغدوا على حرد..." وقوله:"إنا إلى ربنا راغبون" وقوله:"وما هو إلا ذكر للعالمين" والاستفهام التقريري في قوله:"ألم أقل لكم لولا تسبحون" والاستفهام الإنكاري في قوله :"أفنجعل المسلمين كالمجرمين" وقوله:"ما لكم كيف تحكمون" وقوله:"أم لكم علينا أيمان بالغة..." وقوله:"سلهم أيهم بذلك زعيم" وقوله:"أم لهم شركاء...." والنهي في قوله:"فلا تطع المكذبين" وقوله:"ولا تطع كل حلاف

مهين" والأمر للتهكم والتعجيز في قوله:"سلهم أيهم بذلك زعيم" وقوله: "فليأتوا بشركائهم...."

ومن علم البيان : التشبيه في قوله :"فأصبحت كالصريم" و قوله :"كذلك العذاب...." والتشبيه التمثيلي في قوله :"....كما بلونا أصحاب الجنة....." والاستعارة التصريحية التبعية في الحرف في قوله :"وإنك لعلى خلق عظيم " و قوله :"فهم من مغرم مثقلون" والمكنية في قوله :"إن كيدي متين" و قوله :"ليزلقونك بأبصارهم ..." والكناية في قوله :"سنسمه على الخرطوم" و قوله :"يوم يكشف عن ساق" والمجاز المرسل في قوله :"خاشعة أبصارهم" و قوله :"لنبذ بالعراء"

ومن علم البديع:

الجناس الناقص بين "مجنون وممنون، وتدهن فيدهنون، وطاف وطائف، والصريم وليصرمنها، " والالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله :"ما لكم كيف تحكمون" ومن الخطاب الى الغيبة في قوله :"أم لكم كتاب فيه تدرسون ..... أيهم بذلك زعيم" والطباق بين "المسلمين والمجرمين" و قوله :"ضل والمهتدين" كما كانت الفواصل القرآنية مراعية المعنى على أكمل وجه. إلى غير ذلك مما سيجده القارئ بين دفتي هذا البحث الوجيز.

وبعد فهذا جهدي وهو جهد المقل وحسبي صدق النية وجودة العزم وحسن الظن، وما كان فيه من توفيق فمنه وحده، وما كان فيه من هنات فمني ومن الشيطان والعجلة، والله المسدد للنقص والجابر للزلل "يقول الحق وهو يهدي السبيل"

أ.د. مساعد/ منى مُحَمَّد علي عيد .

طهطا – سوهاج ٢٠١٧ – ٢٠١٨م

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم كتاب الله المكنون

١. الاتقان فى علوم القرآن ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م دار التراث القاهرة.

٢. اثر النحاه فى البحث البلاغى ، دار نهضة مصر الفجالة.

٣. الارشاد فى النحو ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م ، مطبعة الامانة.

٤. اساس البلاغة ، ١٩٦٠ م.

٥. الاشارات والتنبيهات ، مكتبة الاداب.

٦. البلاغة ، ١٩٨٩ م.

٧. البلاغة التطبيقية ، بحث ترقية لاستاذ مساعد محمد على عيد ١٩٩٧.

٨. تفسير ابن كثير مكتبة الصفا ١٤٢٥ م ، ٢٠٠٤ م .

٩. الجامع لأحكام القران الكريم تفسير القرطبى المكتبة التوفيقية.

١٠. دلائل الاعجاز ١٩٥٠ م – ١٩٦٠ م.

١١. روح المعانى : دار احياء التراث العربى.

١٢. شرح صحيح البخارى مكتبة الطبرى للنشر والتوزيع.

١٣. الصاوى على الجلالين دار احياء الكتب العربية.

١٤. فن البلاغة ، مؤسسة الرسالة.

١٥. القواعد الاساسية للنحو والصرف ٢٠٠٨ م ، ٢٠٠٩ م .

١٦. الكشاف ١٧٧٢ م – ١٩٨٧ م .

١٧. كشف المعانى فى المتشابه المثانى رسالة ماجستير، ١٩٨٧ م – ١٤٠٨هـ.

١٨. المجلة العلمية لكلية الدراسات قسم التفسير ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

١٩. مختار الصحاح المتكبة الثقافية الدينية.

٢٠. المعجم المفصل فى علوم البلاغة البيان البديع المعانى ١٩٩٢ م.

٢١. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم القاهرة ، ٢٠٠١ م.

٢٢. المعجم الوجيز وزارة التربية والتعليم.

٢٣. من بلاغة القران ، دار النهضة مصر الفجالة ، القاهرة.

٢٤. من بلاغة النظم العربى ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠م.

٢٥. مناهل الفرقان للازقانى.

٢٦. المهارة فى كتاب بحث او رسالة علمية أ.د مساعد منى محمد على عيد ٢٠١٢ م ، ٢٠١٣ م.

٢٧. نظرية الحروف العاملة ومبناها وصيغة استعمالها القرآني بلاغيًا ، د/هادي عطية مطر الهلالي ، مكتبة النهضة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .